جبل الصبر

غائب عويز الهاشمي

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
ولادة ونشأة السيّدة زينب سلام الله عليها	٨
مدفن السيدة زينب الكبرى عليها السلام ومحل قبرها	١١
اسمها ولقبها سلام الله عليها	١٢
هل السيدة زينب سلام الله عليها معصومة؟	١٤
سيرة السيّدة زينب الكبرى عليها السلام وما ورد في حقّها وحقّ فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام	٢٠
السيدة زينب عليها السلام روضة العلم والنور	٢١
السيدة زينب عليها السلام في عهد جدّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم	٢٧
السيدة زينب في عهد أمّها البتول عليهما السلام	٢٨
السيدة زينب في عهد والدها أمير المؤمنين عليهما السلام	٢٩
السيدة زينب مع أخيها الإمام الحسن عليهما السلام	٣٥
السيدة زينب مع أخيها الإمام الحسين عليهما السلام	٣٦
زواج السيدة زينب عليها السلام	٣٧
لماذا لم يخرج عبد الله بن جعفر مع الحسين عليه السلام	٤١
أولاد السيدة زينب عليها السلام	٤٢
مروان يخطب بنت السيدة زينب عليها السلام ليزيد بن معاوية	٤٣
استعراض حياة السيدة زينب الكبرى عليها السلام	٥١

مقتل أولاد السيدة زينب عليها السلام	٥٣
ذهاب السيدة زينب عليها السلام إلى المعركة	٥٥
السيدة زينب عليها السلام تجمع العيال والأطفال	٥٨
نياحة السيدة زينب عليها السلام على سيد الشهداء عليه السلام	٥٩
خطبة السيدة زينب عليها السلام في الكوفة	٦١
كيف ولماذا قُطع على السيدة زينب عليها السلام خطابها؟	٦٣
السيدة زينب عليها السلام في مجلس عبيد الله ابن زياد	٦٤
السيّدة زينب الكبرى عليها السلام في طريق الشام	٦٧
السيدة زينب عليها السلام في الشام	٧٠
زينب ومصائب كربلاء	٧٤
زهدها في الدنيا وقناعتها	٧٨
شرفها ومجدها عليها السلام	٨١
مَراقِدُ أهلِ البيت عليهم السَّلام في الشام	٨٤
الرؤيا العجيبة	٨٦
بكاء الكون لمصاب السيدة زينب عليها السَّلام	٨٧
خصائص السيّدة زينب عليها السَّلام	٨٨
متفرّقات	٩٠
الهوامش	٩٤
المصادر	١١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى.....جبل الصبر الشامخ
إلى..... زينة اللوح المحفوظ
إلى.....ثاني سيدة في أهل البيت صلوات الله عليهم

أهدي جهدي المتواضع وأطلب شفاعتها

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيّه المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، وعلى أهل بيته الهداة الميامين صلوات الله عليهم أجمعين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً من كلّ رجس ودنس وشين، ومنّ علينا بهم بعد أن كانوا أنواراً بعرشه محدقين، وفرض مودّتهم على العالمين، وختم بمهديّهم الدين.

منذ زمن بعيد وأنا أُمنّي النفس أن أكون مع من كتب ولو بسطر واحد عن سيّدة نساء العالمين، وما أن تحقّقت هذه الأمنية بعد أن أبحرت في بطون الكتب لأسلّط الضوء على ما قيل في السيّدة التي يغضب الله لِغَضَبِها، فكانت بحق محاولة تُسهّل للقارئ الاطلاع على ما قيل في "أمّ أبيها"، وأتممت ذلك في بحث طويل أسميتُه: (القول اليقين في سيّدة نساء العالمين).

وما إن أكملت هذا المشوار، وأنا في مشهد الإمام الرضا عليه السلام، حيث كانت للمكتبة الرضويّة التي تعجّ بأمهات الكتب الفضل الكبير في الاطلاع على مصادر كانت مجهولة بالنسبة لي، أغنت البحث كثيرًا، حتى اتجهت وأنا هناك إلى الكتابة عن جبل الصبر الشامخ، وأمّ المصائب، والعالمة غير المعلّمة، والصدّيقة الصغرى زينب الكبرى سلام الله عليها، نادرة من نوادر الكون، وآية إبداع في خلق الله، وملتقى آيات العظمة، ومفخرة التاريخ. ومنذ ذلك الوقت وأنا أُسلّط الضوء على ما قيل في ثاني سيّدة في أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، فهي سلام الله عليها بنت أمير المؤمنين عليه السلام وباب من ابواب علمه، وأمير المؤمنين عليه السلام باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها» (١).

ومن خلال البحث، تمّت الإجابة على الأسئلة التي تدور في أذهان الكثير، ومنها: هل السيّدة زينب الكبرى عليها السلام معصومة؟ وهل هناك فرق بين عصمتها وعصمة أمّها الصدّيقة الكبرى سيّدة نساء العالمين عليها السلام؟ وقد استعرضت في موضوع شيّق كون السيّدة زينب عليها السلام روضة العلم والنور، وتناولت الولادة والنشأة والمواقف الشجاعة التي سطّرتها بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وسلّطت الضوء على المصائب والمحن التي مرّت عليها، كذلك التسمية التي لم يسبق الله بها أحدًا، والمدفن والآراء التي قيلت في هذا الاتجاه، وأمورًا أُخرى ومواقف تستحق الذكر وجديرة بالاهتمام.

أملي أن أُوفّق في تسليط الضوء على الأنوار الفاطميّة على باب أبيها، لننعم من هذا الضياء في حياتنا اليوميّة، ونستلهم منه الدروس والعبر لتساعدنا على تخطّي مشاكلنا، وما أكثرها في هذه الدنيا الدنيّة التي ما أحوجنا فيها إلى من يُرشدنا إلى طريق الهداية، ومن الله التوفيق.

ولادة ونشأة السيّدة زينب سلام الله عليها :

ازدهرت حياة الأسرة النبويّة بالسِّبطين الكريمين الحسن والحسين عليهما السلام، فكانا كالقمرين في ذلك البيت الكريم الذي أذِن الله أن يُرفَع ويُذكَر فيه اسمه، وقد استوعبا قلب جدّهما الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم مودّة ورحمة وحنانًا، فكان يرعاهما برعايته، ويغدق عليهما بإحسانه، ويفيض عليهما من مكرمات نفسه التي استوعب شذاها جميع آفاق الوجود.

وفي تلك الفترة التي عاشتها الأسرة النبويّة، وهي مُترَعة بالولاء والعطف من الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم، عَرَض الحمل للصديقة الطاهرة سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام، فأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ينتظر بفارغ الصبر ليُبارك به لحبيبته فاطمة عليها السلام ولباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. أمّا ذلك

الحمل فهو الوليدة المباركة، ووضعت الصدّيقة الطاهرة عليها السلام وليدتها المباركة التي لم تُولد مثلها امرأة في الإسلام إيمانًا وشرفًا وطهارة وعفّة وجهادًا.

وقد استقبلها أهل البيت وسائر الأصحاب سلام الله عليهم بمزيد من الابتهاج والفرح والسرور، وأجرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على وليدته المراسم الشرعيّة، فأذّن في أُذنها اليمنى، وأقام في اليسرى، ولقد كان أوّل صوت قرع سمعها هو: "الله أكبر، لا إله إلا الله"، وهذه الكلمات كلمة الإخلاص وجوهر القيم العظيمة في الأكوان، وانطبعت هذه الأنشودة في أعماق قلب حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم، فصارت عنصرًا من عناصرها، ومقوّمًا من مقوّماتها.

وحينما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه المولودة المباركة، سارع إلى بيت بضعته، وهو خائر القوى، حزين النفس، فأخذها ودموعه تتبلور على وجنات وجهه الكريم، وضمها إلى صدره، وجعل يوسعها تقبيلا. وبهرت سيدة النساء فاطمة عليها السلام من بكاء أبيها، فانبرت قائلة: ما يبكيك يا أبتاه؟ لا أبكى الله لك عينا.

فأجابها بصوت حزين: يا فاطمة، اعلمي أن هذه البنت بعدي وبعدك سوف تنصب عليها المصائب والرزايا. ولقد استشف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يجري على حفيدته من الرزايا القاصمة التي تذوب من هولها الجبال، وسوف تمتحن بما لم تمتحن به أي سيدة من بنات حواء. ومن الطبيعي أن بضعته وباب مدينة علمه قد شاركاه صلى الله عليه وآله وسلم في آلامه وأحزانه. وأقبل سلمان الفارسي (المحمدي)، الصديق الحميم للأسرة النبوية، يهنئ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بوليدته المباركة، فوجده حزينا، وهو يتحدث عما تلقاه ابنته من المآسي والخطوب، وشارك سلمان أهل البيت صلوات الله عليهم في آلامهم وأحزانهم. وعندما حملت زهراء الرسول وليدتها المباركة إلى الإمام، فأخذها وجعل يقبلها، والتفتت إليه فقالت له: سم هذه المولودة، فأجابها الإمام بأدب وتواضع: ما كنت

لأسبق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وسأل الإمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يسميها، فقال: ما كنت لأسبق ربي. وهبط رسول السماء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: سم هذه المولودة زينب، فقد اختار الله لها هذا الاسم، وأخبره بما تمر به حفيدته من أهوال الخطوب والكوارث، فأغرق هو وأهل البيت في البكاء (٢). ففي اليوم الخامس من شهر رجب، ولدت السيدة زينب (٣)، وفتحت عينها في وجه الحياة في دار يشرف عليها ثلاثة هم أطهر خلق الله تعالى: محمد رسول الله، وعلي أمير المؤمنين، وفاطمة سيدة نساء العالمين، صلى الله عليهم أجمعين. هذا هو المشهور بين الشيعة حاليا، وهناك أقوال تاريخية أخرى في تحديد يوم وعام ميلادها المبارك (٤)، وقد ذكرت الكاتبة المصرية بنت الشاطئ في كتابها (بطلة كربلاء) ما نصه: إنها الزهراء بنت النبي، يوشك أن تضع في بيت النبوة مولودا جديدا بعد أن أقرت عيني الرسول بسبطيه الحبيبين الحسن والحسين، وثالث لم يقدر الله له أن يعيش، هو المحسن (٥).

هي زينب أم المصائب والمحن: المشهور وفاة السيدة زينب الكبرى عليها السلام كان في يوم الأحد مساء الخامس عشر من شهر رجب من سنة اثنتين وستين هجرية، وهناك أقوال أخر غير مشهورة في تحديد يوم وسنة وفاتها. ولقد أهمل التاريخ ذكر سبب وفاتها، أم أنها قتلت بسبب السم الذي قد يكون دس إليها من قبل الطاغية يزيد، حيث لا يبعد أن يكون قد تم ذلك بسرية تامة، حجبت عن الناس وعن التاريخ. وعلى كل حال فقد لحقت هذه السيدة العظيمة بالرفيق الأعلى، وارتاحت من توالي المصائب ونوائب الدهر الخؤون. لقد فارقت هذه الحياة بعد أن سجلت اسمها بأحرف من نور في سجل سيدات النساء الخالدات، فصارت ثاني أعظم سيدة من سيدات البشر، حيث إن أمها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هي أولى أعظم سيدة من النساء، كما صرح بذلك أبوها رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: (وأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين)(٦).

مدفن السيدة زينب الكبرى عليها السلام ومحل قبرها :

واختلفت الأقوال في مدفن السيدة زينب الكبرى عليها السلام ومحل قبرها:

١) أنها توفيت في المدينة المنورة ودفنت هناك في البقيع، وهو رأي قليل من المؤرخين إليه.

٢) أنها دفنت في ضواحي مدينة دمشق، وهو المشهور في الأوساط الإسلامية، وإليه ذهب الكثير من المحققين، حيث قالوا: إنها توفيت في (راوية) إحدى قرى الشام حيث هو قائم الآن.

٣) أنها هاجرت إلى بلاد مصر وعاشت هناك حوالي سنة واحدة ثم توفيت ودفنت في مدينة القاهرة، وهو رأي جمهرة من المؤرخين والمشهور عند أكثر المصريين، وهناك تفاصيل كثيرة، من أرادها فليرجع إلى كتاب (السيدة زينب عليها السلام رائدة الجهاد في الإسلام) للشيخ القرشي.

أليس من أعجب الأعاجيب أن يختلف المؤرخون في تاريخ وفاة السيدة زينب الكبرى ومكان دفنها، مع الانتباه إلى أنها ثاني سيدة في أهل البيت المكرم؟ (٧) ففي ضاحية دمشق يوجد مشهد مشيد يقصده الناس من شتى البلدان وينسب إلى السيدة زينب عليها السلام، وفي القاهرة أيضا مشهد عظيم يزوره المصريون وغيرهم، وهو ينسب إلى السيدة زينب عليها السلام.

أجل، ولكن قد يزول هذا التعجب بعدما علمنا بالظلم الشامل والمستمر الذي ظلمه التاريخ لآل رسول الله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، رجالا ونساء، حيث إن أكثر الكتب التاريخية مكتوبة بأقلام معادية لآل رسول الله، ويزول هذا التعجب أيضا عندما نعلم بمحاربة أكثر الحكومات للكتب والمؤلفات التي كانت تتحدث عن أهل البيت، ومحاربتها للكتب عن طريق الإحراق والإتلاف والإبادة، ثم محاربتها عن طريق عدم السماح بطبعها أو نشرها أو دخولها في البلاد الإسلامية.

ونحن نريد أن نتحدث عن حياة سيدة كانت تعيش قبل ثلاثة عشر قرنا ونصف القرن، وقد امتازت حياتها بجميع جوانبها عن حياة غيرها من سيدات التاريخ، إنها السيدة زينب الكبرى بنت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام. ونحن إذا استقرينا أسباب العظمة وموجبات الشرف في تاريخ البشر على اختلاف أنواعها وأقسامها، نجد كلها أو جلها مجتمعة ومتوفرة في السيدة زينب الكبرى عليها السلام (٨).

اسمها ولقبها سلام الله عليها:

سماها الله زينب: من الناحية اللغوية، معنى هذا الاسم: هناك قول ينفي جمال وحسن معنى كلمة "زينب" (٩):

الأول: إن "زينب" كلمة مركبة من "زين" و"أب" (١٠).

الثاني: إن "زينب" كلمة بسيطة وليست مركبة، وهو اسم لشجرة أو وردة (١١) الزينب: شجرة حسنة المنظر طيبة الرائحة، وبه سميت المرأة (١٢). الزينب: نبات عشبي بصلي معمر من فصيلة النرجسيات، أزهاره جميلة بيضاء اللون، فواحة العرق.

أما ألقابها:

١) عقيلة بني هاشم، والعقيلة هي المرأة الكريمة على قومها، العزيزة في بيتها، وكان هذا اللقب وسامًا لذريتها، فكانوا يُلقبون بـ(بني العقيلة).

٢) العالمة، وكانت عليها السلام من السيدات العالمات في الأسرة النبوية، ومرجعًا للسيدات من نساء المسلمين يرجعن إليها في شؤونهن الدينية.

٣) عابدة آل علي، وكانت من عابدات نساء المسلمين، فلم تترك نافلة من النوافل إلا أتت بها.

٤) الكاملة: وهي من النساء الكاملات في الإسلام في فضلها وعفتها (١٣).

٥) الفاضلة: وهي من أفضل نساء المسلمين في جهادها وخدمتها للإسلام وبلائها في سبيل الله.

والسيدة زينب سلام الله عليها أول مولودة أنثى من أبوين هاشميين، فقد حظيت بالعناية الإلهية، تولى الله عز وجل تسميتها بأحسن الأسماء، وكنيت ولقبت بألقاب فيها من الدلالات والمعاني ما يدل على سمو ذاتها وعظيم شأنها كما ذكرنا (١٤).

وكان للسيدة زينب سلام الله عليها دور مهم في ثورة أخيها الإمام الحسين عليه السلام ضد حكم يزيد الأموي، فرافقت أخاها إلى العراق، وآزرته وساندته، وبعد استشهاده أُجبرت على التوجه إلى الشام، حيث جابهت ادعاءات يزيد عليه اللعنة، ودافعت عن مواقف أخيها وأهل بيتها ضد بني أمية بشجاعة وجرأة فائقتين(١٥).

ولو اطلعنا على كتاب الخصائص الزينبية للسيد نور الدين الجزائري، سنة الطبع: ١٤١٨ هجريًّا، ص٣٨، نجده يقول في اسم السيدة الجليلة زينب سلام الله عليها:

"إن كل حرف من حروف الهجاء الأربعة يرمز إلى عظيم من العظماء، ويشير إليه وينبئ عن أنها عليها السلام قد ورثت العظمة منهم، فكانت خير وارث لمحاسنهم، والخلف الصالح لهم، والدليل الصادق على مآثرهم.

فالزاي: يرمز إلى أمها الزهراء عليها السلام، لما ورثته من أمها من الصبر والصمود والتضحية والفداء.

والياء: يرمز إلى أبيها علي عليه السلام، لما ورثته منه من الشجاعة والشهامة والعلم والحلم.

والنون: يرمز إلى أخويها الهمامين الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام، لما ورثته منهما من فضائل ومكارم وأخلاق وآداب.

والباء: يرمز إلى النبي جدها المختار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لما ورثته منه من عز وشرف وسؤدد وسيادة.

وحيث إن الله تبارك وتعالى أراد بيان فضل هذه السيدة الكريمة، بضعة الرسالة، وربيبة الإمامة، عقيلة بني هاشم، وكريمة أهل البيت، اصطفاها واختار لها اسم زينب من قبله، فهي منقبة كبيرة، وفضيلة عظيمة، لم ينلها إلا خاصة من عباد الله المقربين، ولم يبلغها إلا أصفياء حظوا على جاه عظيم.

هل السيدة زينب سلام الله عليها معصومة؟

وهل هناك فرق بين عصمتها أو عصمة أمها الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام؟

قبل الوصول إلى عصمة السيدة زينب عليها السلام نسلط الضوء على عصمة أمها الزهراء عليها السلام، فنقول:

إن فاطمة الزهراء عليها السلام تتجلى فيها العصمة الإلهية الكبرى، لأن الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات، فعند خلقه للإنسان أشار إلى فلسفة خلقه، وبيَّن أن المراد من

خلق الإنسان هو تكامل هذا الإنسان (١٦)، فيصير الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض، ويكون مظهرًا لأسمائه وصفاته، وقال تعالى: (إني جاعلٌ في الأرض خليفةٌ) (١٧)، وهذه الخلافة هي خلافة الأسماء والصفات (١٨).

فالخلافة تارة تكون مادية، وأخرى أخلاقية، وخلافة الإنسان لله من القسم الثاني، وتسميتها بخلافة الأسماء والصفات لأن الله تعالى ذات محيطة بكل شيء، ولا يُحاط به، فمعرفة ذاته محال، بل تقود إلى الحيرة والضلال كما ورد في الحديث الشريف (١٩).

إلا أن لنا أن نعرفه من خلال أسمائه وصفاته، وأمرنا الشارع بذلك، فلنا أن نتفكر بصفاته الذاتية والفعلية، وكونه عالمًا، وقادرًا، وحيًّا، وإن هذه الصفات تتجلى في خلقه، فترى الخلق كله يسبح بحمده (٢٠).

فمثلًا نرى صفة الحياة تتجلى في الخلق، ولكن هذه الحياة لها مراتب متعددة كالزينة الجمادية، والنباتية، والحيوانية، والإنسانية، والملائكية، والزينة العليا هي الزينة الإلهية، وهكذا قدرته، وكل أسمائه وصفاته تتجلى وتظهر في هذا الكون الذي هو مرآة عاكسة لصفات الله تعالى، والذي يجمع هذه الصفات ويعكسها كلها وتتجلى فيه، هو الإنسان الكامل، فيُسمى بـ "جامع الجمع" (٢١)، لأن هناك من المخلوقات ما يتجلى منه صفة واحدة من صفات الله تعالى، وبعضها أكثر من ذلك، وكلٌّ بحسبه.

فالإنسان الكامل هو المخلوق الوحيد الذي تتجلى فيه ألف وواحدة من هذه الصفات، وتسعة وتسعون منها تُسمى "الأسماء الحسنى" لورودها في القرآن الكريم، وهذه الأسماء لها الأثر التام عند الدعاء بها، ولكن لا بد لنا أن نعرف من هو الإنسان الكامل؟ فيكون الجواب: من كانت له الزينة العليا والسيادة المطلقة على الخلق، ألا وهو النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أي إن هذه الأسماء والصفات تتجلى كاملة في

الحقيقة المحمدية، وهذه الحقيقة تتجلى في الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ثم العلماء، ثم الأمثل فالأمثل، فلهذا صار الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض.

وبناءً على ما سبق، فإن العصمة والطهارة تتجلى في الأنبياء والأئمة عليهم السلام، لأن مسؤولية الجميع واحدة، ووظيفتهم واحدة، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مسؤول عن هداية البشر، والإمام مسؤول عن حفظ هذه الأمة بالهداية وإدامتها، فتتجلى العصمة الإلهية في الأنبياء، وتتجلى العصمة الإلهية والنبوية في الأئمة.

فعلى هذا لا بد للخليفة الذي يلي الرسول في مهمته الإلهية وحفظ الرسالة أن يكون معصومًا، لأنه الحافظ للشريعة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم إن القرآن الكريم هو كتاب الهداية، معصوم من كل خطأ، فلا بد لحافظه ومفسره ومبينه أن يكون معصومًا، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة التي أمرتنا أن نعتصم بحبل الله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا) (٢٣).

فلو لم يكن الحبل معصومًا، لما طلبت الآية الاعتصام به، ونحن نعلم أن القرآن الناطق هو الإمام، فلا بد أن يكون معصومًا، وإلى ذلك أشارت الآيات القرآنية في قصة الطوفان وسفينة نوح عليه السلام، الذي التجأ إليه (٢٤)، ففي هذه دلالة واضحة على عصمة السفينة، ومن ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق.

ولوجود مناسبة وتشابه بين سفينة نوح عليه السلام، وأهل البيت عليهم السلام، نرى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يمثل أهل بيته بسفينة نوح، ويأمر الأمة في مواطن عديدة بالتمسك بهم، وهو قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى) (٢٥).

فالعصمة الإلهية إذن تتجلى في النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وتتجلى في الوصي من بعده عليه السلام، وهذه العصمة عصمة ذاتية كلية، فكل ما تجلى في النبي صلى

الله عليه وآله وسلم، تجلى أيضًا في خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاثني عشر، الذين كلهم من قريش، كما ورد في الصحيحين (٢٦).

ولهذه العصمة النبوية والعلوية جامع، ألا وهو فاطمة الزهراء عليها السلام، فهي جامع النور النبوي والنور العلوي، فلذا يُعبر عنها بالصديقة الكبرى، ويُعبر عنها بعصمة الله تعالى، لأنها جمعت بين العصمتين.

ثم إن هذه العصمة منهج لله تعالى، ناتج من اختبار وامتحان، فامتحن الله تعالى الأنبياء بأن شرط عليهم العلم والزهد في هذه الدنيا الدنية، فشرطوا له ذلك، وعلم منهم الوفاء، فقبلهم، وقربهم إليه، وهذا ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام في دعاء الندبة، حيث يقول: (بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية، وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به، فقبلتهم، وقربتهم، وقدمت لهم الذكر العلي، والثناء الجلي) (٢٧).

إذن، عصمهم الله تعالى بعد اختبار لهم في العوالم السابقة، كعالم الجبروت والملكوت، ومثال على هذا العالم الناس.

وهكذا بالنسبة لفاطمة الزهراء عليها السلام، اختبرها الله تعالى بالصبر كما ورد في زيارتها يوم الأحد: (السلام عليك يا ممتحنة، امتحنك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك، وكنت لما امتحنك به صابرة) (٢٨).

إذن امتحنها الله تعالى بالصبر، الذي هو أساس الأخلاق، ولم يمتحنها بالزهد، لأن الزهد فرع من فروع الأخلاق.

فلو سأل سائل: لم امتحن الله تعالى أنبياءه بالزهد؟

الجواب: أن الزهد في هذه الدنيا يؤهل النبي لممارسة وظيفته التي بعث من أجلها، ألا وهي هداية الناس، فلا يكون غير الزهد في الدنيا له القدرة على دعوة الناس إلى الآخرة،

فزهد الأنبياء يؤهلهم للخوض في المجتمعات، وعدم التلوث بالمحيط الكافر، والبيئة المتلوثة بالشرك والمعاصي.

هناك فرق بين عصمة الأنبياء السابقين لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وبين عصمة خاتم الأنبياء وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين، ولكن هذا الفرق من حيث المبادئ والنتيجة، أي أن عصمة الأنبياء يصدر عنها "ترك الأولى" (٢٩).

ولكن عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته لا يصدر عنها "ترك الأولى"، كما يلاحظ في قصة آدم وداوود (٣٠)، إلا أن "ترك الأولى" لا يضر بالعصمة.

ثم إن العصمة التي تُبنى على الصبر تجعل صاحبها على درجة من اليقين بحيث لو كُشف له الغطاء، لما ازداد يقينًا، بينما نرى أن إبراهيم الخليل عليه السلام طلب من ربه أن يرى ما يطمئن به القلب، وهذا لأن عصمته بنيت على العلم والزهد، في حين أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يطلب ذلك من ربه، لأن صبره أساس الأخلاق، واليقين جزء من الأخلاق.

إن الزهد والتقوى جنديان من جنود العقل، وحب الدنيا من جنود الجهل كما هو مبين في محله (٣١)، فالصبر لم يصدر من الإمام علي عليه السلام ترك الأولى، فلا يقال لمثله كان الأولى له أن يفعل كذا.. بامتحان منه سبحانه في العوالم السابقة. وهكذا كان أولاده المعصومون عليهم السلام بالعصمة الذاتية المبنية على العلم التام اللدني وعلى الصبر.

إذن عرفنا أن العصمة التي عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عصمة ذاتية، أي ذاتهم معصومة، عصمهم الله تعالى من كل شين ونقص وذنب وخطأ ونسيان وحتى ترك الأولى في النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك باختبار وامتحان منه سبحانه في العوالم السابقة، فأعطاهم الله العصمة. فإذا عرفنا هذا، فإن التي عند السيدة زينب عليها السلام وأمثالها الذين تربوا في أحضان النبوة والإمامة (٣٢) عصمة أفعالية، أي لم يرتكبوا

الذنب في أفعالهم من حين ولادتهم وحتى حين وفاتهم، فعصمتهم هذه تُسمى بالعصمة الأفعالية أو الكسبية، وإنها الجزئية وليست عصمة ذاتية، فلا تجب عليهم عقلًا، لأن العصمة الذاتية مختصة بالأنبياء والأئمة وفاطمة الزهراء عليهم السلام جميعًا. فالعصمة الذاتية لطف إلهي للأنبياء والأئمة الأطهار بعد اختبارهم في العوالم السابقة ونجاحهم في الامتحانات الإلهية لنجاحهم في الدنيا، كما ابتلي إبراهيم الخليل بكلمات فأتمهن.

وأما العصمة الأفعاليّة فتلقـيح في الأفعال بأن يتّقي الذنوبَ وأن لا يتلوّثَ بها حفاظًا لبقاء سلامته، وكلاهما بالاختيار والاختبار، فلا يُقال لو كانت العصمة ذاتيّة فلا فضل لمن اتّصف بها. ثمّ إنّ العصمة الذاتيّة كلّيّة، نعم، العصمة عن الذنوب والخطإ والنسيان وما يشين الإنسان، بخلاف الأفعاليّة، فإنّها العصمة عن الذنوب والمعاصي، وأمّا القضايا الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة فرُبّما يُخطئ، فإنّه غير معصوم. ثمّ إنّ الذاتيّة للأنبياء واجبة عقلًا ونقلًا، أي لا بدّ منها، ويدلّ عليها الأدلة العقليّة كعدم الاعتماد على قول من لم يكن معصومًا، والأدلّة النقليّة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كآيتي التطهير والولاية وحديث الثقلين والسفينة.

وأما العصمة الأفعاليّة فلم تكن ضروريّة، وبهذا ربما يصدر من غير المعصوم ما يتنافى مع العصمة الذاتيّة، والعصمة الذاتيّة المطلقة إنّما تكون بنصّ من الله تعالى، كما يقول الإمام السجّاد عليه السلام: (الإمام لا يكون إلّا معصومًا، وليست العصمة في ظاهر الخلق لتُعرف، ولذلك لا يكون إلّا معصومًا) (٣٣). وكون النبيّ والعترة الطاهرة صلوات الله عليهم يمتازون بالعصمة الذاتيّة باعتبار علمهم اللدنيّ الخاصّ من غير كسب متعارف، كما في قوله تعالى: (وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (٣٤). فاليقين عند الإمام المعصوم عليه السلام يختلف عن العلوم المتعارفة التي عند الناس، فيؤيَّد النبيّ والإمام عليه السلام بروح القدس.

في حديث جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: (سألته عن علم العالم، فقال لي: يا جابر، إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح الحياة، وروح القوّة، وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثم قال: يا جابر، إنّ هذه الأربعة أرواح يُصيبها الحدثان، إلّا روح القدس، فإنّها لا تلهو ولا تلعب) (٣٥). ومعنى العصمة في الأنبياء والأوصياء لطف إلهيّ خاصّ باعتبار القوّة النورانيّة الملكوتيّة الراسخة تعصم الإنسان في حياته.

ثمّ يأتي دور عصمة السيّدة زينب عليها السلام، وهي التي نسمّيها بالعصمة الأفعاليّة العالية، ثمّ عصمة الأنبياء والأوصياء، وهي العصمة الذاتيّة الكلّيّة المطلقة الواجبة، ثمّ عصمة الأربعة عشر معصومًا: محمدٌ والأئمّة الاثنا عشر وفاطمة الزهراء عليهم السلام جميعًا، والكلّ يُشترط بالطهارة وعدم ارتكاب الذنوب والمعاصي، إلّا أنّ كلّ واحدٍ يمتاز عن الآخر بخصائص ومميّزات، كعصمة الأربعة عشر معصومًا عليهم السلام ليس فيها ترك الأولى، بخلاف عصمة الأنبياء، فإنّه لا يضرّها ترك الأولى.

سيرة السيّدة زينب الكبرى عليها السلام وما ورد في حقّها وحقّ فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام :

أنّها كانت في سنّ أربع سنوات أو خمسٍ عندما جاء بعض الشيعة إلى دار الإمام عليه السلام ليسألوا عن بعض المسائل، إلّا أنّهم لم يجدوا الإمام عليه السلام، فبعد طرق الباب خرجت لهم زوجة الإمام عليه السلام وأخبرتهم بعدم وجود الإمام عليه السلام، فقالوا لها: إنّنا جئنا من مكانٍ بعيدٍ ولا بدّ لنا من أجوبةٍ لهذه المسائل، فكيف بنا ومن نسأل؟ فقالت لهم زوجة الإمام عليه السلام: هنا في البيت فاطمة بنت الإمام عليه السلام، قالوا: إذًا نسأل فاطمة. ولمّا دخلوا عليها وسألوها، أجابتهم بكمال الأجوبة وبتمامها، فأخذوا

أجوبتهم وذهبوا. ولمّا جاء الإمام عليه السلام، حدّثته زوجته بكلّ ما جرى، أنّ فاطمة أجابت بكذا وكذا، فقال عند ذلك: (إنّ فاطمة حكمت بحكم الله سبحانه وتعالى). وهكذا زينب الكبرى عليها السلام، كان عمرها سنتين كما ورد في الرواية، وهي جالسة في حجر أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لها أبوها: (بنيّة، قولي واحدًا)، فقالت: واحد، ثم قال لها: قولي اثنين، فقالت: لا أقول يا أبتاه. قال: بنيّةَ لمَ لا تقولين اثنين؟ قالت: لساني جرى على الواحد ولا يجري على الاثنين. فمن تلك القصّة الأولى، وهذه القصّة الثانية، نفهم أنّ السيّدتين الجليلتين عالِمتان غير معلَّمتين، كما أنّهما تربّيا تربية نبويّة علويّة، ومثل هذه التربية لا تُنتج إلّا عصمةً أفعالية.

ثمّ عندما نطّلع على حال زينب عليها السلام وهي تصلّي صلاة الليل في ليلة الحادي عشر من المحرّم، في تلك الليلة التي تهدّ الجبال بمصيبتها، نلمس من ذلك مدى علم زينب وعظمة زينب عليها السلام. وهذا ليس بعجب، فإنّ مثل هذه العصمة ثبتت لمن هو أقلّ من مقام زينب عليها السلام، التي قال في حقّها الإمام زين العابدين عليه السلام: (عمّة، أنتِ بحمد الله عالِمة غير معلّمة، وفهِمة غير مفهَّمة)، أي أنّ معلّمكِ هو ربّ العالمين، فأنتِ لستِ بحاجةٍ إلى معلّمٍ آخر، فإنّه تعالى أدّبكِ فأحسن تأديبكِ. فهي عالِمةٌ لأنّها في أعلى مراتب التقوى، وكانت مصداقًا للآية الكريمة: (واتّقوا اللهَ ويعلّمكم الله) سورة البقرة: ٢٨٢. وهي سلام الله عليها صابرةٌ، لم يسبقها إلّا أمّها فاطمة عليها السلام، وهي معصومةٌ بالعصمة الأفعاليّة.

السيدة زينب عليها السلام روضة العلم والنور :

نحن نعلم أن الذي يقف أمام نورٍ حسينيٍّ سيكون خلفه نورٌ وظلمةٌ، ويتصاغر هذا الظل وهذه الظلمة كلما اقتربنا من النور. فما يعيشه الإنسان من الجهل الذي خُلق من

الظلمة وجعل الله له جنودًا، وهي الصفات الذميمة وكلها ظلمانية، كما خُلق العقل من النور وجعل الله له جنودًا نورانية، كما في حديث العقل في كتاب الكافي. فالظلمات التي بُعث بها الإنسان هي السبب في هذا البعد عن الحق والحقيقة، فيا ترى عندما تدخل حرم السيدة عليها السلام ولا تشعر بالنورانية وبالعلم الإلهي، فما ألفناه من المناظر الشيطانية كلّ يوم في الشوارع والأسواق والأزقة والسيارات العامة، أهو الحجاب؟ أم الأدران المعنوية؟ أم كلاهما؟

والحق أقول: إن المناظر الشيطانية لها دورها الذي لا يُستهان به (٣٦)، ولكن الظلمة القلبية الناشئة من الذنوب لها دورها الأكبر (٣٧). ويكفي شاهدًا على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) (٣٨). فلكثرة هذه المشاهد الشيطانية، يموت فينا هذا الإيمان الضعيف، فنتعوّد على رؤيتها وستؤنسها النفوس.

إذًا، لا بدّ من علاجٍ لما نحن فيه، ولا أرى علاجًا ناجحًا لهذه اللوثة إلا معرفة زينب العقيلة كما هو اللائق بها

لأن القلب لو تنجّس بشيءٍ من هذه القاذورات، فإنه يظهر بدخوله إلى هذه اللبوة الطاهرة ويخرج منها طاهرًا مرةً أخرى، كما أن الماء يطهّر البدن، فزينب عليها السلام تطهّر القلب والروح، ولا قياس (٣٩). فعطرها نتعطّر، وبطهرها نتطهّر. وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٤٠): (إن من وقف قرب بائع العطر يصيبه شيءٌ من ذلك العطر)، وهكذا الذي يدخل إلى العطر المعنوي ينغمس فيه، فيكون مصدرًا للعطر أينما حلّ. ولنَعرف زينب، ولنرَ زينب، لتجب لنا الجنة، فإن من زارها عارفًا بحقّها وجبت له الجنة (٤١). وإن لم تعدم الثواب في زيارةٍ بلا معرفة، إلا أنّ السعادة الأخروية واللذّة المعنوية لا تتمّ إلا بزيارةٍ محاطةٍ

بمعرفةٍ كماليةٍ أو جماليةٍ. فبزيارةٍ كهذه تتغيّر جواهر القلوب، وتُرفع الحجب الظلمانية، وتُفتح الأقفال.

ربما يتبادر إلى الذهن أن هذه الكلمات إنشاءٌ محضٌ، وهذا التبادر ناشئٌ من التسرّع في الحكم. وأقوال المعرفة من العرفان في مقابل العلم (٤٢)، وربما يكونان مترادفين، إلا أنّ هناك فرقًا بين العلم والمعرفة. فالعلم يهتمّ بالكليّات، والمعرفة تهتمّ بالجزئيات. فنُطلق على الله تعالى "عالِمٌ"، ولا نُطلق عليه "عارفٌ" (٤٣). فالمعرفة كليٌّ تشكيليٌّ لها مراتب (٤٤) طويلةٌ وعريضةٌ (٤٥)، وبالمعرفة تُوزن الأشياء، ولهذا قال مولى الموحّدين عليه السلام: (تكلّموا تُعرفوا، فإنّ الإنسان مخبوءٌ تحت طيّات لسانه) (٤٦). وجاء أيضًا: (تكلّموا يرحمكم الله، فبالكلام يُعرف قدركم) (٤٧). وهي على ثلاثة أنحاء كما ذكرنا: جلاليةٌ وجماليةٌ وكماليةٌ.

ونذكر مثالًا لتقريب المعنى: إنّك لو رأيت جبلًا عن بعدٍ فإنك ستعرفه بحدوده، وإنه ليس شجرًا ولا حيوانًا ولا إنسانًا وإنما هو جبلٌ، فهذه المعرفة يُقال لها معرفةٌ جلاليةٌ، ولكن لو اقتربت منه ورأيت جماله وصلابته وشموخه فهذه معرفةٌ جماليةٌ، وعندما تصعد عليه وترى كُنهه وواقعه فهذه معرفةٌ كماليةٌ، وهكذا معرفتنا نحن للأئمة الأطهار.

وقد ورد في الزيارة الجامعة: «ما من وضيعٍ ولا شريفٍ ولا عالمٍ ولا جاهلٍ إلا عرف جلالة قدركم» (٤٨) أي: حتى عدوّهم يشهد بفضلهم لأنه يعرفهم معرفةً جلاليةً، وهناك من يعرف أمير المؤمنين والإمام الحسين ٭ بمعرفةٍ جماليةٍ، فلذلك استحقّ سلمان أن يكون من أهل البيت فقالوا في حقّه «سلمان منّا أهل البيت»(٤٩).

فتراه ملازمًا لأمير المؤمنين، فكلما دخل الأصحاب المسجد وجدوا سلمان بجوار مولاه يشرب من معينه الصافي، فاتفقوا على أن يسبقوا سلمان إلى أمير المؤمنين فبكّروا بالمجيء وفعلا لم يجدوا في الطريق إلا آثار أقدام الإمام ففرحوا بذلك، ولكن ما إن وصلوا المسجد

وجدوا سلمان جالسًا عند أمير المؤمنين فتفاجؤوا فقالوا: يا سلمان من أين أتيت؟ أَنزلت من السماء أم خرجت من الأرض؟

فقال سلمان: إنما جئت من حيث جئتم. فقالوا: فأين آثار أقدامك؟ فقال: إني لما رأيت أقدام أمير المؤمنين وضعتُ أقدامي عليها لأني أعلم أنه لا يضع قدمًا ولا يرفعها إلا بحكمةٍ وعلمٍ.

هكذا يعرف سلمان مولاه وهكذا يقتفي أثره، فمعرفة سلمان بالإمام معرفةٌ جماليةٌ.

وهناك معرفةٌ أخرى لأمير المؤمنين وهي المعرفة الكمالية، وهذه منحصرةٌ بالله تعالى ورسوله حيث صرّح بذلك النبي' بقوله: «يا عليّ ما عرف اللهَ إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا» (٥٠).

والسبب واضح وهو أنه لا يعرف حقيقة الوليّ والحجّة وباطن أمير المؤمنين إلا من كان محيطًا بذلك تمام الإحاطة.

والإمام زين العابدين عليه السلام يقول لزينب عليها السلام: (أنت عالمة غير معلّمة). فبكلامه هذا أراد أن يعرّفنا جمالها وعصمتها. فمثل هذا الكلام من الإمام المعصوم إشارة إلى جمال زينب عليها السلام. وهذا أبوها أمير المؤمنين عليه السلام لما دخل عليها وهي تفسّر القرآن للنساء في آية (كهيعص) (٥١) فأشار أمير المؤمنين إلى هذه الحروف المقطعة وقال: (كـ تعني كربلاء وما سيجري فيها على زينب) (٥٢). وورد في روايات العرش أنه كتب على العرش: (زينة العرش الإلهيّ علي بن أبي طالب) (٥٣)، وكتب في اللوح المحفوظ: (زينة اللوح المحفوظ زينب) وهذا الحديث إشارة صريحة إلى جمال زينب عليها السلام. فإذن من خلال معرفتنا لجمالها نزداد حبًّا لها، ومن خلال ازدياد الحبّ نزداد أدبًا وشوقًا، ومن خلال الأدب والحبّ نزداد علمًا ونورًا في روضتها ودوحة علمها وعنوان بطولتها وصبرها.

العلم كثير ومنه ما هو نافع ومنه ما هو ضار وفيه ما لا نفع فيه إذا علم ولا ضرر فيه إذا جهل. وهذا ما يوضّحه الحديث المرويّ أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دخل المسجد فوجد الناس قد تجمعوا على رجل فقال: وما هذا؟ فقالوا: علامة يا رسول الله. فقال: وما العلامة؟ فقالوا: إنه أعـرف الناس بأنساب العرب وأشعارها. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (هذا علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه، إنما العلم ثلاث: آية محكمة وفريضة عادلة وسنّة قائمة، وما خلاهنّ فضل) (٥٤).

فمن دراية هذا الحديث كما عند الفيـض الكاشانيّ في كتابه "الحقائق" يقول هذه الكلمات الثلاث إشارة إلى علوم ثلاث تنفع في الدنيا والآخرة وفي عالم القبر. فالمـراد (آية محكمة) يعني علم الكلام لأنّ علم الكلام الذي هو علم العقائد علم المبدأ والمعاد وما بينهما لا يثبت إلا بالآية المحكمة ألا وهي البرهان العقليّ الذي لا يجوز فيه التقليد) (٥٥). ومن الشواهد على ذلك قصة الفلاح الذي دخل عليه رجل وسأله عن وجود الله عز وجل؟ فانزعج الفلاح من هذا السؤال ثم رفع المسحاة وضرب الرجل على رأسه وقال: بهذا أستدلّ) (٥٦). ورواية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حين مرّ على عجوز بيدها مغزلها وسألته عن وجود الله تعالى فقالت: أستدلّ عليه بهذا المغزل أي برهان الحركة) (٥٧). فيقال إنه قال صلى الله عليه وآله: (عليكم بدين العجائز فإنه دين الفطرة) (٥٨)، لأنّ كلّ مولود يولد على الفطرة) (٥٩). فهذا كلّه إشارة إلى أن الدليل العقليّ هو الموصل إلى الله تعالى وهو المراد (آية محكمة). وأما قوله (فريضة عادلة) فهو إشارة إلى علم الفقه حيث أنّه عبارة عن الفرائض الواجبة والمحرّكات. فالفقه هو الفريضة العادلة التي تعبّر عن العدل الإلهيّ فيها يصل الإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة. فالفريضة العادلة هي التقوى. وأما السنة القائمة فهي إشارة إلى علم الأخلاق الذي هو مَلكة راسخة. وقوله: (وما خلاهنّ فضل) فمراده إمّا زيادة أو فضيلة. وعلى كلا الأمرين يكون العلم البشريّ ضروريًّا حسب حاجة الأمة

إليه ولعلّه يكون واجبًا عينيًّا بعد أن كان واجبًا كفائيًّا. وهذا العلم الإلهيّ ينفع في القبر لأنّ السؤال الثاني الذي يوجّه إلى صاحب القبر عن الصلاة والصوم وفروع الدين بعد السؤال عن أصول الدين. فعلى هذا لا بدّ لنا أن نتعلّم من زينب سلام الله عليها ونزداد منها علمًا فإذا لم نزدَد منها علمًا أو نتعلّم منها فهذا القصور فينا لا فيها لأنّ القصور في القابل لا في الفاعل لأنّ الفاعل الحوراء تامة (٦٠) كالشمس تضيء لذي عينين ولا ينتفع منها الأرمد وكلما دخل الإنسان في حضرة السيّدة زينب عليها السلام يزداد علمًا وينفتح له باب من ذلك العلم وإنّ هذا العلم لا ينضب لأنه علم الله تعالى (٦١).

والله تعالى لا نهاية له لأنه الأول والآخر والباطن والظاهر (٦٢) فيكفيك أن تجلس أمام وجودها وشعاعها فإنه سينفتح لك وتفكر في مسألة فينفتح لك علم جديد لم تعلمه من قبل وهذا هو الإلهام الإلهي لأن العلم ليس بكثرة التعلُّم إنما العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء (٦٣) وهذا ما أكده روح الله عيسى بن مريم عليه السلام بقوله: (ليس العلم في السماء حتى ينزل إليكم ولا في الأرض حتى يخرج لكم إنما العلم في قلوبكم فتخلَّقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم) وهذا مرادف لقوله (من أخلص لله أربعين يوما تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه) (٦٤) ولكن هذا لا يعني ترك الدراسة التي هي مقدمة العلم الإلهي فيا أيها الذين آمنوا لا يستحوذنّ الشيطان على قلوبكم كما استحوذ على غيركم لأن حكم الرحمن هو الحاكم وليس حكم الشيطان (٦٥) وهذا يتم بمعرفة جمال زينب عليها السلام، إنها بنت علي وفاطمة وأخت الحسن والحسين عليهم السلام وأمّ المصائب فهذه حدودها ويعرفها القاصي والداني والمسلم والكافر وهذه المعرفة معرفة جلالية، ولا بدّ لنا من المعرفة الجمالية فهذا القول يوضح لنا ما هي ثمرة المعرفة الجمالية فنور زينب سلام الله عليها نور معنوي كالنور الحسي ظاهر بذاته ومُظهِر لغيره والنور الأول هو الله تعالى حيث إنه نور السماوات والأرض فروضة النور تعني روضة إلهية والنبي صلى الله عليه وآله وسلم نور

حيث إنه سراج منير فتكون روضته روضة نبوية وقرآنية ومولوية لأن القرآن نور والوليّ نور فكلامكم نور وأمركم سلام فتكون روضتها روضة أحاديث أهل البيت عليهم السلام فالدخول في هذه الروضة يورث العلم والتلذّذ المعنوي والروحي ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: (منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا وطالب الدنيا يتكل عليها مع أنها جيفة لأن الدنيا جيفة وطلابها كلاب) (٦٦) فلو ناداها صاحبها هل امتلأت؟ تقول هل من مزيد؟ أي آتِني من حلال وحرام فطالب الدنيا نار وطالب العلم نور وذاك جهل وهذا علم وذاك شيطان وهذا رحمن.

السيدة زينب عليها السلام في عهد جدّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

ما تقول في طفلة روحها أطهر من ماء السماء وقلبها أصفى من المرآة وتمتاز بنصيب وافر من الوعي والإدراك تفتح عينيها في وجوه أسرتها الذين هم أشرف خلق الله وأطهر الكائنات وتنمو وتكبر وتدرج تحت رعاية والد لا يشبه آباء العالم وفي حجر والدة فاقت بنات حواء شرفًا وفضلًا وعظمة. الثابت القطعي أنها تربية نموذجية وحيدة وفريدة لقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ قوله تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدو والآصال) فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله أيّ البيوت هذه؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (بيوت الأنبياء). فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت علي وفاطمة فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (نعم ومن أفضلها) (٦٧). ومن الواضح أن السيدة زينب عليها السلام بمواهبها واستعدادها النفسي كانت تتقبّل تلك الأصول التربوية وتتبَلور بها وتندمج معها (٦٨). وأكثر انطباعات النفس كانت من أثر التربية كما أن أعماله وأفعاله وحتى حركاته وسكناته وأخلاقه وصفاته نابعة من نوعية التربية التي أثّرت في نفسه كلّ الأثر. إذن من الصحيح أن

نقول إن السيدة زينب تلقّت الدروس التربوية الراقية العليا في ذلك البيت الطاهر كالعلم بما فيه ذلك من الفصاحة والبلاغة والإخبار عن المستقبل ومعرفة الحياة وقوة النفس وعزّتها والشجاعة والعقل الوافر والحكمة الصحيحة في تدبير الأمور واتخاذ ما يلزم من موقف أو قرار تجاه ما يحدث بالإضافة إلى إيمانها الوثيق بالله تعالى وتقواها وورعها وعفّتها وحيائها إلى بقية فضائلها ومكارمها وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغمُر أطفال السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بعواطفه ويشملهم بحنانه حتى لم يُعهد من أحد أن يكون مغرمًا بأحفاده إلى تلك الدرجة وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا زارهم في بيتهم أو زاروه في بيته يعطّر خدودهم وشفاههم بقبلاتٍ ويلصق خدّه بخدودهم ويعلم الله تعالى كم حظيت السيدة زينب عليها السلام بهذه العواطف الخاصة؟ وكم مرة وضع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خدّه الشريف على خدّ حفيدته زينب سلام الله عليها؟ وكم مرة جلست في حجره؟ وكم من مرة تسلّقت زينب عليها السلام أكتاف جدّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ وكم وكم؟

السيدة زينب في عهد أمّها البتول عليها السلام:

تستأنس البنت بأمّها أكثر من استئناسها بأبيها، وانسجمت معها أكثر من غيرها، وتُعتبر رابطة المحبّة بين الأمّ والبنت من الأمور الفطريّة التي لا تحتاج إلى دليل، فالأنوثة من أقوى الرابطات بين الأمّ وبنتها، وإذا نظرنا إلى هذه الحقيقة من زاوية علم النفس، فإنّ الأمّ تُعتبر ينبوع العاطفة والحنان، والبنت بطبعها وبطبيعتها متعطّشة إلى العاطفة، فإنّها تجد ضالّتها المنشودة عند أمّها، فلا عجب إذا اندفعت نحو أمّها وانسجمت معها روحًا وقلبًا وقالبًا.

والسيدة زينب الكبرى عليها السلام كانت مغمورة بعواطف أمّها العطوفة، وقد حلّت في أوسع مكانٍ من قلب أمّها، والسيدة زينب الكبرى عليها السلام تعرف الجوانب الكثيرة من آيات عظمة أمّها سيّدة نساء العالمين وحبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقرّة عينه وثمرة فؤاده وروحه التي بين جنبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد فتحت السيدة زينب عليها السلام عينيها في وجه أطهر أُنثى على وجه الأرض، وعاشت معها ليلها ونهارها، وشاهدت من أمّها أنواع العبادة والزهد والمواساة والإيثار والإنفاق في سبيل الله، وإطعام الطعام مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا، وشاهدت حياة أمّها الزوجيّة والاحترام المتبادل بينها وبين زوجها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وطاعتها له، وصبرها على خشونة الحياة وصعوبة المعيشة ابتغاء رضا الله تعالى.

كما عاصرت السيدة زينب عليها السلام الجوانب المؤلمة التي عصفت بأمّها البتول بعد وفاة أبيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وما تعرّضت له من الضرب والأذى، وشاهدت أمّها العليلة طريحة الفراش، مكسورة الضلع، دامية الصدر، محمرّة العينين، كما رافقت السيدة زينب عليها السلام أمّها الزهراء عليها السلام إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين ألقت الخطبة...

السيدة زينب في عهد والدها أمير المؤمنين عليهما السلام:

بعد أن وصل أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة إلى الكوفة واستقرّ به المكان، التحقت به العوائل من المدينة إلى الكوفة، ومن جملة السيّدات اللواتي هاجرن من المدينة إلى الكوفة هي السيدة زينب عليها السلام، وقد سبقها زوجها عبد الله بن جعفر، حيث كان في جيش الإمام لدى وصوله إلى البصرة.

والتاريخ يحدّثنا أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد انقضاء مدّة من وصوله إلى الكوفة نزل في دار الإمارة، وهو المكان المعدّ لحاكم البلدة، ومع تواجد الإمام في الكوفة لم يكن هناك حاكم أو أمير غيره، فلماذا لم ينزل في دار الإمارة؟

ويتبادر إلى الذهن أنّ دار الإمارة كانت مشتملة على حجرات وغرف عدّة وواسعة، وكان كلّ من البنات والأولاد يسكنون في حجْرة من تلك الحجرات، والسيدة زينب عليها السلام كانت تسكن مع زوجها في حجْرة أو غرفة من غرف دار الإمارة (٦٩).

ومكثت السيدة زينب عليها السلام في الكوفة سنوات، وعاصرت الأحداث والاضطرابات الداخليّة التي حدثت من واقعة صفّين إلى النهروان، وإلى الغارات التي شنّها عمّال معاوية على بلاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد كانت العلاقات الودية بين الإمام أمير المؤمنين وأولاده وبناته على أطيب ما يكون وفي جو من الصفاء والمودة والوفاء والعاطفة والمحبة، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو السلطان الحاكم على نصف الكرة الأرضية، ومع عائلته المصونة وأبنائه المكرمين، ولكنه في شهر رمضان من تلك السنة الأخيرة من حياته كان يفطر ليلة عند ولده الإمام الحسن، وليلة عند ولده الإمام الحسين، وليلة عند السيدة زينب عليهم السلام جميعًا التي كانت تعيش مع زوجها عبد الله بن جعفر. كل ذلك لتقوية أواصر المحبة والتواصل بينه وبين أبنائه وبناته. وفي الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان كانت النوبة للسيدة زينب، وأفطر الإمام في حجرتها سلام الله عليهما، وقدمت له طبقًا فيه رغيفان من خبز الشعير، وشيء من الملح، وإناء من اللبن. كان هذا هو فطور الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يحكم نصف العالم، وأنهار الذهب والفضة تجري بين يديه. واكتفى الإمام تلك الليلة برغيف من الخبز مع الملح فقط، ثم حمد الله وأثنى عليه، وقام إلى الصلاة، ولم يزل راكعًا وساجدًا ومبتهلًا إلى الله تعالى. ولا أعلم لماذا بات الإمام في حجرة ابنته زينب عليهما

السلام تلك الليلة، ولعلّه اختار المبيت حتى تشاهد وترى وتروي مشاهداتها ومسموعاتها عن أبيها أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الليلة، إذ كانت تلك الليلة تمتاز عن بقية تلك الليالي، فإنها عليها السلام تحدّثنا فتقول: (إنه عليه السلام قال لأولاده: إنني رأيت في هذه الليلة رؤيا هالتني، وأريد أن أقصها عليكم). قال عليه السلام: (إنني رأيت الساعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي، وهو يقول لي: يا أبا الحسن، إنك قادم إلينا عن قريب، يجيء إليك أشقاها، فيُخضِّب شيبتك من دم رأسك، وأنا والله مشتاق إليك، وإنك عندنا في العشرة الأواخر من شهر رمضان، فهلم إلينا، فما عندنا خير لك وأبقى). فلما سمعوا كلامه ضجّوا بالبكاء والنحيب، وأبدوا العويل، فأقسم عليهم بالسكوت فسكتوا.

وتقول السيدة زينب عليها السلام: لم يزل أبي تلك الليلة قائمًا وقاعدًا، راكعًا وساجدًا، ثم يخرج ساعة بعد ساعة، يقلّب طرفه إلى السماء، وينظر في الكواكب، وهو يقول: والله ما كذبت ولا كذّبت، وإنها الليلة التي وُعدت بها. ثم يعود إلى مصلّاه، ويقول: اللهم بارك لي في الموت. ويكثر من قوله: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). ويصلّي على النبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم، ويستغفر الله كثيرًا. تقول: فلما رأيته في تلك الليلة قلقًا متململًا (٧٠) كثير الذكر والاستغفار، أَرِقت معه ليلتي (٧١)، وقلت: يا أبتاه، ما لي أراك في هذه الليلة لا تذوق طعم الرقَاد؟ قال عليه السلام: يا بُنيّة، إنّ أباكِ قتل الأبطال، وخاض الأهْوال، وما دخل الخوف له جوفًا، وما دخل في قلبي رعب أكثر ممّا دخل في هذه الليلة. ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقلت: يا أبتاه، ما لك تنعى نفسك في هذه الليلة؟

قال: يا بنيّة، قد قرب الأجل، وانقطع الأمل.

قالت: فبكيت، فقال لي: يا بُنيّة، لا تبكي، فإنّي لم أقل ذلك إلا بما عَهِد إليّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

تقول عليها السلام: ثم إنّه نعس وطوي ساعة، ثم استيقظ من نومه، وقال: يا بُنيّة، إذا قرب وقت الأذان فأعلِميني. ثم رجع إلى ما كان عليه أول الليل من الصلاة والدعاء والتضرّع إلى الله سبحانه وتعالى.

فجعلت أرقب وقت الأذان، فلما لاح الوقت أتيته ومعي إناء فيه ماء، ثم أيقظته فأسبغ الوضوء، وقام ولبس ثيابه، وفتح باب الحجرة، ثم نزل إلى ساحة الدار، وكانت في الدار إوزّ (٧٢) قد أُهدي إلى أخي الحسين.

فلما نزل، خرجن وراءه، وزقزقن وصحن في وجهه، وكان قبل تلك الليلة لم يصحن، فقال عليه السلام: لا إله إلا الله، صوائح تتبعها نوائح، وفي غداة غد يظهر القضاء.

فقلت: يا أبتاه، هكذا تتطيّر؟

فقال عليه السلام: (يا بُنيّة، ما منّا أهلَ البيت من يتطيّر ولا يُتطيّر به، ولكن قول جرى على لساني).

ثم قال عليه السلام: (يا بُنيّة، بحقّي عليكِ إلا ما أطلقتيه، فقد حبستِ ما ليس له لسان ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش، فأطعميه واسقيه وإلا خَلّي سبيله يأكل من حشائش الأرض).

فلما وصل الباب، عالجه ليفتحه، فعلق الباب بمئزره، فحلّ مئزره حتى سقط، فأخذه وشدّه وهو يقول:

اشـــدد حيازيمـــك للمـــوت ... فـــإن المـــوت لاقيكَـــا

ولا تجـــزع مـــن المـــوت ... إذا حـــــلّ بناديكَـــــا

كـــما أضـــحكك الـــدهر ... كـــذاك الـــدهر يبكيكَـــا

ثم قال: اللهم بارك لنا في الموت، اللهم بارك لي في لقائك.

تقول السيدة أمّ كلثوم: وكنت أمشي خلفه، فلما سمعته يقول ذلك، قلت: واغوثاه، أراك تنعى نفسك هذه الليلة؟

فقال عليه السلام: (يا بنيّة، ما هو بنعاء، ولكنّها دلالات وعلامات للموت يتبع بعضُها بعضًا).

فلما فتح الباب وخرج، جئت إلى أخي الحسن، فقلت: يا أخي، قد كان من أمر أبينا الليلة كذا وكذا، وهو قد خرج من هذه الليلة غلسًا، فالحقه (٧٣)

فَقَامَ الحسنُ وتبِعَه، فلَحِقَ به قبل أن يدخلَ الجامعَ، فأمره الإمامُ بالرجوعِ، فرجعَ.

فصعِدَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام على المئذنةِ، ووضعَ سبابتَه في أذنيهِ، وتنحنحَ، ثم أذَّن، وكان عليه السلام إذا أذَّن لم يَبقَ في بلدةِ الكوفةِ بيتٌ إلا اخترقه صوتُه، ثم نزلَ من المئذنةِ وهو يُسبّحُ اللهَ ويُقدّسُه ويُكبّرُه، ويُكثرُ من الصلاةِ على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يتفقّدُ النائمين في المسجدِ، ويقولُ للنائمِ: الصلاةَ يرحمك اللهُ، قُم للصلاةِ المكتوبةِ.

ثم يتلو: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر).

ثم اتجه نحو المحراب وقام يصلي، وكان عليه السلام يطيل الركوع والسجود، فقام ابن ملجم (لعنه الله) لارتكاب أكبر جريمة في تاريخ الكون، وأقبل مسرعًا حتى وقف بإزاء الأسطوانة (٧٤) التي كان الإمام يصلي عندها، فأمهله حتى صلى الركعة الأولى، وسجد للسجدة الأولى، ورفع رأسه، فتقدم اللعين، ورفع السيف وهزه، ثم ضرب على رأسه الشريف، فوقعت الضربة على مكان الضربة التي ضربه عمرو بن ود العامري يوم الخندق (هل ضرب عمرو ابن ود العامري مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه ؟!)، فوقع الإمام علي عليه السلام على وجهه، قائلًا: بسم الله وعلى ملة رسول الله، فزت ورب الكعبة، هذا ما وعد الله ورسوله، وصدق الله ورسوله بين السماء والأرض.

وسال الدم على وجهه الشريف وشيبته المقدسة، وعلى صدره وأزياقه (٧٥) حتى اختضبت شيبته، وتحقق ما أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي هذه اللحظة الأليمة، هتف جبرائيل بين السماء والأرض، ذلك الهتاف السماوي الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ الأنبياء والأوصياء، لقد هتف جبرائيل بشهادة الإمام علي عليه السلام، كما هتف يوم أحد بقوته وشهامته يوم قال: لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفقار، فقد اصطفقت أبواب المسجد الجامع (٧٦)، وضجت الملائكة في السماء، وهبت ريح عاصفة سوداء مظلمة، ونادى جبرائيل بصوت سمعه كل مستيقظ:

(تهدمت والله أركان الهدى، وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قتل ابن عم محمد المصطفى، قتل الوصي المجتبى، قتل علي المرتضى، قتل والله سيد الأوصياء، قتله أشقى الأشقياء).

فلما سمعت السيدة أم كلثوم نعي جبرائيل، لطمت وجهها وخدها، وشقت جيبها، وصاحت: وا أبتاه، وا علياه، واسيداه.

ثم حملوا الإمام والناس يبكون وينتحبون، وجاءوا به إلى الدار، فأقبلن بنات رسول الله وسائر بنات الإمام، وجلسن حول فراشه، ينظرن إلى أسد الله وهو بتلك الحالة. فصاحت السيدة زينب وأخواتها: يا أبتاه، من للصغير حتى يكبر؟ ومن للكبير بين الملإ؟ يا أبتاه، حزننا عليك طويل، وعبراتنا لا ترقأ، فضجَّ الناس من وراء الحجرة بالبكاء والنحيب، وشارَكهم الإمام عليه السلام، وفاضت عيناه بالدموع.

وفي ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان، وفي الساعة الأخيرة من حياة الإمام عليه السلام، كانت السيدة زينب عليها السلام جالسة عنده، تنظر في وجهه، إذ عرق جبينه، فجعل يمسح العرق بيده، فقالت زينب عليها السلام: يا أبه، أراك تمسح جبينك؟

قال: يا بنية سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن المؤمن إذا نزل به الموت عرق جبينه وسكن أنينه). فعند ذلك ألقت زينب نفسها على صدر أبيها، وقالت: يا أبه، حدثتني أم أيمن بحديث كربلاء، وقد أحببت أن أسمعه منك. فقال عليه السلام: يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن، وكأني بك ونساء أهلك سبايا بهذا البلد، خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس، فاصبراً صبراً. ثم التفت الإمام إلى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام، وقال: (يا أبا محمد، ويا أبا عبد الله، كأني بكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من هاهنا وهاهنا، فاصبرا حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين). يا أبا عبد الله، أنت شهيد هذه الأمة، فعليك بتقوى الله، والصبر على بلائه. ثم أغمي عليه، وأفاق، وقال: (هذا رسول الله، وعمي حمزة، وأخي جعفر، وأصحاب رسول الله، وكلهم يقولون: عجِّل قدومك علينا، فإنا إليك مشتاقون). ثم أدار عينيه في وجوه أهل بيته، وقال لهم: (أستودعكم الله)، وتلا قوله تعالى: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾، وقوله تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ (٧٧). ثم تشهد الشهادتين، وفارق الحياة. فعند ذلك صرخت زينب وأم كلثوم وجميع نسائه وبناته، وارتفعت الصيحة في الدار. ولما فرغ أولاد الإمام عليه السلام من تغسيله، نادى الإمام الحسن أخته زينب سلام الله عليها وعليهم أجمعين، وقال: يا أختاه، هلمي بحَنوط جدي رسول الله، وكان قد نزل به جبرائيل من الجنة، فبادرت السيدة زينب عليها السلام مسرعة حتى أتته به، فإذا فتحته فاحت الدار لشدة رائحة ذلك الطيب (٧٨).

السيدة زينب مع أخيها الإمام الحسن عليهما السلام:

إن الاحترام اللائق والتقدير الرفيع كان متبادلا بين السيدة زينب الكبرى وبين أخيها الكبير الحسن عليه السلام، وهو السبط الأول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

الإمام الزكي الحسن المجتبى عليه السلام. إن السيدة زينب عليها السلام كانت تنظر إلى أخيها من منظورين: (١) منظور الأخوة. (٢) منظور الإمامة.

فمن ناحية، يُعتبر الإمام الحسن عليه السلام الأخ الأكبر للسيدة زينب عليها السلام، ومن المعلوم أن الأخ الأكبر له مكانة خاصة عند الإخوة والأخوات، وقد ورد في الحديث الشريف: (الأخ الأكبر بمنزلة الأب) (٧٩). بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، ولهذا كان احترامها لأخيها ينبع من هذين المنطلقين. وتجدر الإشارة إلى أن كل ما سنذكره من الروابط القلبية بين السيدة زينب والإمام الحسن عليهما السلام، ثابت فيما بينها وبين الإمام الحسين عليه السلام. ونكتفي هنا بما ذكر في بعض الكتب من موقف السيدة زينب عليها السلام حينما حضرت عند أخيها الإمام الحسن عليه السلام ساعة الوفاة: (وصاحت زينب: وا أخاه! وا حسناه! وقلّة ناصراه! يا أخي، من ألوذ به بعدك؟ وحزني عليك لا ينقطع طول عمري). ثم إنها بكت على أخيها، وهي تلثم خدّيه، وتتمرّغ عليه، وتبكي عليه طويلًا (٨٠).

السيدة زينب مع أخيها الإمام الحسين عليهما السلام:

إن روابط المحبة والعلاقة الودية بين الإخوة والأخوات كانت من قديم الزمان، حتى صارت يضرب بها المثل في المحبة والمودة بين الاثنين، فيقال: روابط المحبة بين الإمام الحسين وأخته السيدة زينب عليهما السلام كانت في القمة، وكانت تمتاز بمزايا، ولا أبالغ إذا قلت: لا يوجد في العالم أخ وأخت تربطهما روابط المحبة والود مثل الإمام الحسين والسيدة زينب عليهما السلام، فإن كلًا منهما قد ضرب الرقم القياسي في مجال المحبة الخالصة والعلاقة القلبية.

وكيف لا يكونان كذلك، وقد تربيا في حجر واحد، وتفرعا من شجرة واحدة؟

لم تكن تلك العلاقة منبعثة عن عاطفة القرابة فحسب، بل عرف كل واحد منهما للآخر من الكرامة وجلالة القدر وعظم الشأن. فالسيدة زينب عليها السلام تعرف أخاها بأنه سيد شباب أهل الجنة، وريحانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتعلم بأن الله تعالى قد أثنى على أخيها في آيات كثيرة من القرآن الكريم، كآية المباهلة، وآية المودة، وآية التطهير، وسورة هل أتى، وغيرها من الآيات والسور، بالإضافة إلى أنها عاشت سنوات مع أخيها في بيت واحد، وشاهدت ما كان يتمتع به أخوها من مكارم الأخلاق والعبادة والروحانية، وعرفت ما لأخيها من علو المنزلة وسمو الدرجة عند الله جل شأنه، وتعلم أنه إمام منصوب من عند الله تعالى، منصوص عليه بالإمامة والولاية الكبرى من الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم، بما توفر من شروط الإمامة ولوازمها فيه كالعصمة، والعلم بجميع العلوم، وغير ذلك.

وهكذا يعرف الإمام الحسين أخته السيدة زينب عليهما السلام حق المعرفة، ويعرف فضائلها وخصائصها، ومن هذا يمكن لنا أن نطلع على شيء من مدى الروابط بين الأخ العظيم وأخته العظيمة في التاريخ.

إن الإمام الحسين عليه السلام كان يقرأ القرآن الكريم ذات يوم، فدخلت عليه أخته السيدة زينب، فقام من مكانه، وهو يحمل القرآن بيده، كل ذلك احترامًا لها (٨١).

زواج السيدة زينب عليها السلام:

لما بلغت السيدة زينب الكبرى عليها السلام مبلَغ النساء، خطبها فيمن خطبها ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يرغب أن يزوج بناته من أبناء عمومتهن، أولاد عقيل، وأولاد جعفر، ولعل سبب ذلك هو كلام رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم، حين نظر إلى أولاد الإمام علي عليه السلام وأولاد جعفر بن أبي طالب، فقال: (بناتنا لبنينا، وبنونا لبناتنا) (٨٢).

وحصلت الموافقة على الزواج، وتم العقد المبارك في جو عائلي يعمّه الود والمحبة، وزُفّت السيدة زينب عليها السلام إلى دار زوجها عبد الله بن جعفر بكل إجلال واحترام، وأنجبت منه أولادًا كانوا ثمرات تلك الشجرة الطيبة، وفروع أغصانها، فلقد ورثوا المجد والشرف من الجانبين.

كان عبد الله شخصية لامعة في عصره، يمتاز عن غيره حسبا ونسبا وجودا وكرما، فقد ذكره أرباب التراجم من الفريقين (السنة والشيعة) في كتب التاريخ والحديث والرجال بكل ثناء وتقدير، وعدّوه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الحسن، والإمام الحسين عليهما السلام. وقد كان رابط الجأش (٨٣)، قوي القلب، شجاعًا في الطفولة، ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وامتدت إلى آخر حياته.

(عبد الله وبه كان يكنَّى) (٨٤)، فقد ذكر سبط ابن الجوزي في كتابه (تذكرة الخواص) في ذكر أولاد جعفر بن أبي طالب: (عبد الله وبه كان يُكنَّى، ومحمد، وعون، وأمهم أسماء بنت عميس، ولدتهم بأرض الحبشة) (٨٥).

حدثنا الواقدي عن محمد بن مسلم، عن يحيى بن أبي علي، قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: (أنا أحفظ حين دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أمي، فنعى إليها أبي، فنظر إلي وهو يمسح على رأسي ورأس أخي، وعيناه تذرفان أو تهرقان بالدموع حتى تقطر لحيته، ثم قال: (اللهم إن جعفرًا قد قدم إلي أحسن الثواب، فاخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحدًا من عبادك في ذريته).

ثم قال: (يا أسماء، ألا أبشرك؟)، قالت أمي: بلى، بأبي أنت وأمي، يا رسول الله، قال: (فإن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة)، فقالت: يا رسول الله، فأعلم الناس بذلك، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذ بيدي، ومسح برأسي، ورقي المنبر، فأجلسني أمامه على الدرجة السفلى، والحزن يعرف عليه، فتحدث وقال: (٨٦) (إن المرء كثير بأخيه وابن عمه، ألا وإن جعفرًا قد استشهد، وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة)، ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودخل بيته، وأدخلني معه، وأمر بطعام فصنع لأهلي، وأرسل إلى أخي، فتغدينا عنده غذاء طيبًا مباركًا، وأقمنا ثلاثة أيام ندور معه في بيوت أزواجه، ثم رجعنا إلى بيتنا، فأتانا رسول الله وأنا أساوم بشاة لي (٨٧)، فقال: (اللهم بارك في صفقته) (٨٨)، فما بعت ولا اشتريت إلا بورك فيه (٨٩).

ولعبد الله بن جعفر حوار وكلام في مجلس معاوية بن أبي سفيان يدل على ما كان يتمتع به عبد الله من قوة القلب وثبات الجنان والإيمان الراسخ بالمبدأ والعقيدة، وعدم الاكتراث بالسلطات الغاشمة، أضف إلى ذلك الفصاحة والبلاغة، والمستوى الأدبي الأعلى الأرقي.

فقد ذكر ابن أبي الحديد (في شرح نهج البلاغة) عن المدائني، قال: بينما معاوية يومًا جالس، وعنده عمرو بن العاص، إذ قال الآذن (٩٠): قد جاء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فقال عمرو: والله لأسوؤنه اليوم، فقال معاوية: لا تفعل يا أبا عبد الله، فإنك لا تنتصف منه، ولعلك أن تظهر لنا من مغبته ما هو خفي عنّا (٩١)، وما لا نحب أن نعلمه منه، وغشيهم عبد الله بن جعفر، فأدناه معاوية، وقرّبه (٩٢)، فمال عمرو إلى جلاسي معاوية، فنال من علي عليه السلام جهارًا، غير ساتر له، وثلبه ثلبًا قبيحًا (٩٣)، فالتمع لون عبد الله، واعتراه أفكل (٩٤)، حتى أرعدت خصائله، ثم نزل عن السرير كالفنيق (٩٥)، فقال عمرو: مه يا أبا جعفر؟ فقال له عبد الله: مه! لا أم لك! ثم قال:

أظـــن الحلـــم دل عـــلي قـــومي وقـــد يتجهـــل الرجـــل الحلـــيم(٩٦)

ثم حسر عن ذراعيه وقال: يا معاوية، حتى متى نتجرع غيظك؟ وإلى كم الصبر على مكروه قولك، وسيئ أدبك، وذميم أخلاقك؟ هبلتك الهبول (٩٧)، أما يزجرك ذمام المجالسة عن القذف لجليسك (٩٨)؟ إذا لم تكن له حرمة من دينك تنهاك عما لا يجوز لك؟

أما والله، لو عطفتك أواصر الأرحام، أو حاميت عن سهمك من الإسلام، ما أرعيت لبني الإماء المتَّك (٩٩)، والعبيد الصك أعراض قومك (١٠٠)، وما يجهل موضع الصفوة إلا أهل الجفوة (١٠١)، وإنك لتعرف وشائظ قريش (١٠٢)، وصفوة غرائزها، فلا يدعونك ما فرط من خطئك في سفك دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين (عليه السلام)، إلى التمادي فيما قد وضح لك الصواب في خلافه، فاقصد لمنهج الحق فقد طال عمك عن سبيل الرشد (١٠٣) وخبطك في بحور ظلمة الغي، فإن أبيت ألا تتابعنا في قبح اختيارك لنفسك، فأعفنا من سوء القالة فينا، إذا ضمنا وإياك الندى (١٠٤)، وشأنك وما تريد إذا خلوت، والله حسيبك، فوالله لو لا ما جعل الله لنا في يديك لما أتيناك. ثم قال: إنك إن كلفتني ما لم أطق، ساءك ما سرك مني من خلق.

فقال معاوية: يا أبا جعفر، أقسمت عليك لتجلسن، لعن الله من أخرج ضب صدره من وجاره (١٠٥)، محمول لك ما قلت، ولك عندنا ما أملت، فلوا لم يكن محمدك ومنصبك، لكان خلقك وخلقك شافعين لك إلينا، وأنت ابن ذي الجناحين، وسيد بني هاشم، فقال عبد الله: كلا، بل سيدَا بني هاشم حسن وحسين، لا ينازعهم في ذلك أحد. فقال: أبا جعفر، أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك إلا قضيتها كائنة ما كانت، ولو ذهبت بجميع ما أملك، فقال: أما في هذا المجلس فلا، ثم انصرف.

فأتبعه معاوية بصره (١٠٦)، وقال: والله لكأنه رسول الله صلى الله عليه وآله، مشيته وخلقه وخلقه، وإنه لمن مشكاته، ولوددت أنه أخي بنفيس ما أملك.

ثُمَّ التفتَ إلى عمرو، فقالَ: أبا عبد الله، ما تراهُ منعهُ من الكلامِ معك؟ قالَ: ما لا خفاءَ بهِ عنك، قالَ: أظنُّكَ تقولُ إنَّهُ هابَ جوابكَ، لا واللهِ، ولكنَّهُ ازدرَاكَ (١٠٧) واستَحقرَكَ، ولم يَرَكَ للكلامِ أهلاً، أما رأيتَ إقبالَهُ عليَّ دونكَ، ذاهبًا بنفسهِ عنك؟ فقالَ عمرو: فهل لك أن تسمعَ ما أعددتُهُ لجوابِهِ؟ قالَ معاوية: اذهبْ إليك، أبا عبد الله، فلا تَ حينَ جوابٍ سائِرَ اليومِ (١٠٨)، ونهضَ معاويةُ وتفرَّقَ الناسُ (١٠٩).

لماذا لم يخرج عبد الله بن جعفر مع الحسين عليه السلام:

هناك سؤال قد يتبادرُ إلى بعض الأذهانِ هو: لماذا لم يخرج عبد الله بن جعفرٍ مع الإمام الحسين عليه السلام في رحلته إلى العراق؟

لإجابة هذا السؤال هناك أكثر من احتمالٍ لأننا لا نعلم بالضبط الجواب الصحيح، إلا أن الذي يتبادر إلى ذهني واللهُ العالمُ أنه كان من اللازمِ أن يبقى بقيةٌ من أهل البيت في المدينة المنورة كي لا يستطيع بنو أمية إكمال خطتهم الرامية إلى استئصال شجرة آل الرسول الكريم، وكان من اللازم أن تكون تلك البقية في مستوى رفيعٍ من قوة الشخصية والمكانة الاجتماعية رجالًا ونساءً كي يستطيعوا الحفاظ على امتداد خط الإسلام الأصيل الذي ينحصر في آل محمد وعلي عليهما السلام، ولكي يكونوا على درجةٍ جيدةٍ حتى يحسب الأعداء ألف حسابٍ ولا يسهل عليهم إبادة تلك البقية. من هنا فإننا نقرأ أسماء ثلةٍ من الذين بقوا في المدينة المنورة ولم يخرجوا مع الإمام الحسين عليه السلام، ومن جملة هذه الثلة الطيبة نقرأ في القائمة:

١) عبد الله بن جعفرٍ مع الانتباه إلى علاقاته الدبلوماسية الظاهرة المسبقة مع الطاغية معاوية والاحترام الفائق الذي كان معاوية يظهره له.

٢) محمد بن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المشهور بـ(ابن الحنفية)

٣) السيدة أم سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

٤) أم هانئ أخت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

٥) السيدة أم البنين قرينة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

٦) السيدة المكرّمة ليلى قرينة الإمام الحسين عليه السلام بناءً على القول بعدم وجودها في كربلاء

٧) السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام حيث كانت مريضة مرضًا يصعب معه السفر

هذا وهناك احتمال آخر، وهو أن سبب عدم ذهاب عبد الله بن جعفر لأنه كان كبير السن، ولكن يُضعف هذا الاحتمال ما يُثبَت تاريخيًّا من أن عمره يوم ذاك كان حوالي خمس وخمسين سنة، ولا يُعتبَر هذا المقدار من العمر كثيرًا، إلا إذا كانت الحياة مقرونة بعواطف نفسية أو جسمية تُسرّع الشيخوخة والهرم إلى الإنسان.

وهناك احتمال ثالث ذكره بعض المؤرّخين، وهو أن عبد الله بن جعفر كان قد فقد بصره قبل رحلة كربلاء، وهذا الاحتمال يصلح سببًا وجيهًا لعدم ذهابه، ولكن بشرط أن يُثبت تاريخيًّا، والله العالم بحقائق الأمور (١١٠).

أولاد السيدة زينب عليها السلام :

اختلف المؤرّخون في عدد أولاد السيدة زينب عليها السلام وأسمائهم. ففي كتاب أعلام الورى للطبرسي، ذُكر أنهم: عليّ وجعفر وعون الأكبر وأم كلثوم (١١١). وقيل: عليّ وعون الأكبر ومحمد وعبّاس وأم كلثوم (١١٢).

وقد استُشهِد محمد وعون في نصرة خالهما الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء في كربلاء، أما أم كلثوم فقد تزوّجها ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر، وقد استُشهِد أيضًا في فاجعة الطفّ بكربلاء.

مروان يخطب بنت السيدة زينب عليها السلام ليزيد بن معاوية:

كان البيت الأموي يعاني عقدة النقص والحقارة النفسية، رغم ما اغتصبوه من سلطة زمنية زورًا وبهتانًا وظلمًا وعدوانًا. فصفحات تاريخهم، خلفًا عن سلف، سوداء مظلمة مليئة بالمساوئ والفضائح.

فـ"حمامة"، إحدى جدّات معاوية، كانت من بغايا مكة، ومن ذوات الأعلام، حيث كان العَلَم يُرفع فوق دارها، فيُعرف بيتها بالدعارة، ويقصده الزناة للفجور بها (١١٣).

و"هند"، والدة معاوية، كانت سافلة قذرة، ذات سوابق عفنة، وآكلة أكباد، مملوءة حقدًا وعداء على الإسلام والمسلمين.

وأبو سفيان، جدّه، كان قطب المشركين، وشيخ الملحدين، ورأس كل فتنة، وقائد كل جيش قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين في عهده الشريف.

ومعاوية هو حصيلة هذا السلف، وثمرة تلك الشجرة الملعونة في القرآن، وهو يعلم أن الناس يدركون هذه السوابق ويعرفونه حقّ المعرفة. فكيف له أن يُجبر نقصًا ملازمًا لا ينفكّ عنه؟

وكيف يستر هذه العيوب التي أحاطت به وغمرته؟ كان الإحساس والشعور بهذه السوابق العفنة والملفات الوسخة يحز في صدر معاوية، فهو يحاول أن يكتسب شيئًا من الشرف والمجد ليملأ به هذا الفراغ ويتخلص من هذا الشعور ويغطي على بصمات الخزي في سجلّ حياته وفي صفحات تاريخه والتشبث بشتى الوسائل، ولكن محاولته تبوء بالفشل. ومن جملة

الطرق والوسائل التي حاول (معاوية) من خلالها اكتساب الشرف والسؤدد هي مصاهرة الأشراف واكتساب الشرف منهم، وكان البيت العلويّ الطاهر على علم وبصيرة من نوايا (معاوية) وأهدافه؛ ولذلك كانوا يسدّون عليه كل باب يمكن أن يدخل منه.

فلقد أوصى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند وفاته أن يتزوج المغيرة بن الحارث بن الزبير بن عبد المطلب بأمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تلك السيّدة التي أوصت مولاتُنا فاطمة الزهراء عليها السلام أميرَ المؤمنين أن يتزوج بها حيث قالت: (وتزوج بأمامة ابنة أختي فإنها لأولادي مثلي). وإنما أوصى الإمام بذلك كي لا يتزوج بها معاوية، فإن الإمام كان يعلم بعلم الإمامة أن (معاوية) سيحاول أن يتزوج بها ويفتخر بأنه صاهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن حفيد النبي قد صار في صلبه، ولذلك أغلق الباب على معاوية وتركه في ظلمات نسبه (١١٤).

وبعد سنين قام معاوية بمحاولة أخرى، فقد كتب إلى زميله ونظيره في الدناءة واللؤم والحقارة والصلافة والوقاحة (مروان بن الحكم) ابن الزرقاء الزانية، وكان حاكمًا على الحجاز من قِبل معاوية، أن يخطب أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر وأمّها السيّدة زينب عليها السلام (ليزيد بن معاوية). وجاء مروان إلى عبد الله بن جعفر وأخبره بذلك، ومن الواضح أن عبد الله بن جعفر هو أبو الفتاة وله عليها ولاية، وهو يعلم نوايا معاوية وهدفه من هذه المصاهرة، ولكنه يعتبر الإمام الحسين عليه السلام كبير الأسرة وسيّد العائلة وأشرف أفراد العشيرة، فلا ينبغي لعبد الله بن جعفر أن يصدّق ويوافق بدون موافقة الإمام الحسين عليه السلام، فيتخلّص من هذا الطلب، المخرج من هذه الحيلة الشيطانية، فقال: (إنّ أمرها ليس إليّ، إنّما هو إلى سيّدنا الحسين عليه السلام، هو خالها). فأخبر عبدُ الله الإمامَ الحسين عليه السلام بذلك، فقال الإمام: (أستخير الله تعالى، اللهم وفّق لهذه الجارية رضاك من آل محمد) (١١٥).

فلمّا اجتمع الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقبل مروان حتى جلس إلى جانب الحسين عليه السلام، وعنده من الجلّة (١١٦). فقال مروان: (إنّ أمير المؤمنين (معاوية) أمرني بذلك، وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغًا ما بلغ (١١٧) مع صلح ما بين الحيّين (١١٨) مع قضاء دينه (١١٩)، وأعلم أنّ من يغبطكم بيزيد أكثر ممّن يغبطه بكم، والعجب كيف يُستَمهَرُ يزيد وهو كفء من لا كفء له، وبوجهه يُستسقى الغمام). فردّ خيرًا يا أبا عبد الله (١٢٠).

من الصحيح أن نقول أن الصلافة والوقاحة لا حد لها ولا نهاية، وأن دناءة النفس وخسة الروح تسبب انقلاب المفاهيم إلى صورة أخرى، فالحقير ينقلب شريفًا، والنذل يُعتبر محترمًا، والوجه الذي لم يسجد لله يُستقى به الغمام! ووليد الكفر والفجور يُغتبط به، والسافل المنحط يصير أرفع وأجلّ من أن يُطلب بالمهر، بل ينبغي أن تهديَ العظماءُ فتياتها هدايا بلا مهر، هذا هو موقف (مروان) وعصارة دماغه وكيفية تفكيره ومدى إدراكه للقيم والمفاهيم وتجرؤه أن يرفع صوته بهذه الأكاذيب التي لا يجهلها أحد، وكأنه لا يعلم مع من يتكلم، وعمّن يتحدث ويمدح؟ فأجابه الإمام الحسين عليه السلام بجواب ألقمه حجرًا، وزيّف أباطيله وأضاليله، وفنّد تلك الترهات التي صدرت عن أقذر لسان، وألعن وأحقر إنسان، فقال عليه السلام: (الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه... إلىٰ آخر كلامه).

انظر إلى قوة المنطق وعلوّ مستوى النفس وشرافة الروح وقداسة السيرة وغير ذلك مما يتجلّى في جواب الإمام الحسين عليه السلام لمروان بن الحكم، فهو عليه السلام يفتتح كلامه بحمد الله تعالى الذي اصطفاهم واختارهم، وهذا منتهى البلاغة والكلام المناسب لمقتضى الحال، فنراه يصرّح بأنه من الأسرة التي اختارها الله تعالى للإمامة واصطفاهم، ومعنى ذلك توفّر المؤهّلات فيهم وتواجد الفضائل والمزايا والخصائص التي

لا توجد في غيرهم، فهم في أعلى مستوى من الشرف وفي ذروة العظمة الممنوحة لهم من الله تعالى، والفرق بينهم وبين غيرهم كالفرق بين الثريّا والثّرى والجواهر والحصى، فإذن هناك بون شاسع بينهم وبين غيرهم من الناس الذين لم يتلوّثوا بالجرائم ولم يسوّدوا صحائف أعمالهم بالمخازي، فكيف بمعاوية ويزيد ومروان والذين هم من هذه الزمرة؟

ثم قال الإمام عليه السلام: (يا مروان قد قلت فسمعنا، أمّا قولك: مهرها حكم أبيها بالغًا ما بلغ)، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا (١٢١). سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بناته ونسائه وأهل بيته وهو (١٢٢).. اثنتا عشرة أوقيّة يكون أربعمائة وثمانين درهمًا، وأمّا قولك: (مع قضاء دين أبيها)، فمتى كان نساؤنا يقضين عنّا ديوننا؟ وأمّا (صلح ما بين هذين الحيّين)، فإنّا قومٌ عاديناكم في الله ولم نكن نُصالحكم للدنيا، فقد أعيى النسبُ فكيف السبب؟ يريد مروان أن يُصالح بين الخير والشرّ وبين الفضائل والرذائل وبين أولياء الله تعالى وأعدائه ويعترفون لهم بقيادتهم المغتصبة وزعامتهم الملوّثة وجرائمهم ومخازيهم؟ هل هذا معنى الصلح بين الحيّين؟ أو يجب على المجرمين المناوئين لأولياء الله أن يثوبوا ويرتدعوا عن أعمالهم اللّا إسلاميّة وينقادوا لأهل البيت الذين فرض الله مودّتهم وأوجب طاعتهم وولايتهم؟ فإذا كان المقصود المعنى الأوّل فهو مستحيل شرعًا وعقلًا، لأنّ الاعتراف للمفسدين بالصلاح والتقوى يُعتبر سحقًا للمفاهيم الإسلاميّة وإبطالًا للحقّ وإحقاقًا للباطل وحاشا أهل البيت صلوات الله عليهم من هذا التنازل المُشين المُزري، وإن كان المقصود من الصلح المعنى الثاني فهذا لا يتوقّف على المصاهرة ولا يحتاج إلى هذا الزواج السياسيّ، فإن كان البيت الأمويّ يؤمن بالحقّ في آل رسول الله فليعترفْ لهم بذلك ولينسحبْ من ساحة القيادة ويتنازلْ عن منصّة الحكم، وعند ذلك يتحقّق الصلح المنشود على حدّ زعمهم، ولكنّ (مروان) لا يفهم هذه الأمور أو يفهم ولكنّه يجحد بالحقّ وهو مستيقنٌ به وإنّما يريد أن يحقّق هدفه المنشود عن طريق المغالطة في الكلام والتزوير في

الحقائق والمفاهيم، ومن غباوته أنّه كان يظنّ أنّ الإمام الحسين عليه السلام ينخدع بهذه الأساليب الملتوية والخداع المكشوف، ثمّ هلمّ معي لننظرْ إلى البيت العلويّ النبويّ الشامخ والشجرة الطيّبة التي أصلها ثابتٌ وفروعها في السماء، فالقرآن الكريم يُمطر عليهم وابلَ التمجيد والثناء، بدأ بصاحب الشريعة النبيّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم إلى سيّد العترة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام إلى سيّدي شباب أهل الجنّة وريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين عليهما السلام إلى بقيّة الأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين، فهذه آية التطهير وتلك آية المباهلة وتلك آية المودّة وتلك سورة هل أتى وتلك آية التبليغ وتلك آية إنّما وليّكم الله... إلخ، وكلّها آياتُ تقديرٍ وباقاتُ تمجيدٍ وعلاماتٌ وتصريحاتٌ بالإشادة بجلالة قدرهم وعلوّ شأنهم من صلاتهم وإنفاقهم وإطعامهم وجهادهم وآثارهم وعصمتهم وقداستهم وغير ذلك، وهذه من مئات الآلاف من الكتب التي تشهد بخصائصهم ومناقبهم.

فإذن من الطبيعيّ أن تحصلَ العداوةُ والخصومةُ بين هاتين الطائفتين، فالتناقضُ موجودٌ دائمًا بين الفضائلِ والرذائل، وبين الخيرِ والشرِّ، وبين النورِ والظلمة، فكيف يمكنُ الصلحُ بين هذين الحيَّين وهاتين العشيرتين كما زعم (مروان)؟؟ (فإنّا قومٌ عاديْناكم في الله ولم نكن نُصالِحُكم للدنيا). الإمامُ الحسينُ عليه السلام يكشفُ عن أسبابِ النزاعِ وموجباتِ الخصومةِ بين بني هاشمٍ وبني أميّة، إذ قد يكونُ سببُ العداوةِ بين فرقتين أو عشيرتين لأجلِ شيءٍ مادّيٍّ، كالمالِ والرئاسةِ وما شابهَ ذلك، وقد يكونُ سببُ العداوةِ عقائديًّا ودينيًّا، فكيف يمكنُ الوئامُ والوفاقُ بين طائفتين هما على طرفي نقيضٍ من الناحية العقائديّة؟!؟؟

هذا ومن الواضح تاريخيًّا أنّ الطائفة التي بدأت في إظهار العداوة وإشعال نار الفتنة والتفرقة هم بنو أميّة وعلى رأسهم (أبو سفيان) شيخ المشركين أوّلًا ورئيس المنافقين أخيرًا، فمن الذي قاد جيش المشركين من مكّة إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر؟ ومن الذي قاد جيش المشركين في واقعة أُحد؟ ومن الذي شقّ بطن حمزة سيّد الشهداء وعمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخرج قلبه وكبده وجدع أنفه وأذنيه ومثّل به شرّ تمثيل؟ أليست هي هند زوجة أبي سفيان؟ ومن الذي قاد جيوش الأحزاب في غزوة الخندق؟ ومن... ومن...؟؟؟ ومن الذي قال يوم بويع عثمان: "تلقّفوها يا بني عبد شمس، فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنّة ولا نار؟؟" أليس هو أبو سفيان؟ ومن الذي حارب الإمام عليًّا عليه السلام يوم صفّين وأقام تلك المجزرة الرهيبة التي كاد أن ينقطع فيها نسل العرب؟ ومن الذي سنّ لعن الإمام عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر وفي قنوت الصلاة حتى قال الشاعر:

لعنتــه بالشــام ســبعين عامًــا لعـــن الله كهلهـــا وفتاهـــا

أليس هو معاوية والكلام كثير والمؤلفات تطول وأما معنى كلام الإمام الحسين عليه السلام (فلقد أعيى النسب فكيف بالسبب) فإن بني هاشم كانوا الصفوة من قريش وبنو أمية يدعون أنهم من قريش إذًا فالنسب موجود بين هاتين العشيرتين بني هاشم وبني أمية وقد أعيى وعجز هذا النسب وهذه القرابة أن تكون سببًا للصلح والوفاق بين هاتين العشيرتين فهل تنفع المصاهرة للإصلاح بينهما؟ ويجيبه الإمام الحسين عليه السلام: (وأما قولك: العجب ليزيد كيف يستمهر، فقد استمهر (١٢٣) من هو خير من يزيد ومن أبى يزيد ومن جدّ يزيد) إن مروان لا يعلم أن المهر شرط في الزواج وأن (لا زواج بلا مهر) بصرف النظر عن طرفي النكاح وهما الزوجة والزوج وشأنهما سواء كان أحد الطرفين وضيعًا أو شريفًا غنيًا أو فقيرًا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو أشرف الكائنات

وأفضل المخلوقين وسيد الأنبياء والمرسلين والذي كانت إحدى نعليه أشرف من جميع بني أمية قاطبة قد أمهر نساءه ولكن مروان يقول: (كيف يطلب المهر من يزيد)؟ ويتجاوز مروان الصلافة والكذب ويقول: (إن يزيد كفؤ من لا كفؤ له) أي إن يزيد يعتبر كفؤًا ونظيرًا لطائفة خاصة من الناس وطبقة عالية وراقية من المجتمع والعظماء والأشراف الذين ليس له نظير يماثلهم في الشرف ويساويهم في العظمة فإن يزيد كفؤ لهم ونظير لهم في المجد والشرف.

ويجيبه الإمام الحسين عليه السلام (وأما قولك: إن يزيد كفؤ من لا كفؤ له) فمن كان كفؤه قبل اليوم فهو كفؤه اليوم ما زادته إمارته في الكفاءة شيئًا، يقول الإمام عليه السلام (إن يزيد الذي هو حفيد أبي سفيان شيخ المنافقين وحصيلة هند آكلة الأكباد وثمرة حمامة ذات العلم وابن معاوية فرع الشجرة الملعونة في القرآن وابن ميسون النصرانية). كل من كان كفؤه -أي نظيره وكفيله ومسويه- قبل اليوم فهو كفؤه اليوم أيضًا إن يزيد هو هو لم تتغير ماهيته ولم تتبدل هويته بل حاضره مثل ماضيه ولاحقه مثل سابقه والإمارة المغتصبة التي تقمصها ما زادته إلا زورًا وبهتانًا (وأما قولك: بوجهه يستسقى الغمام، فإنما كان ذلك بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

أقول: (الوجه والجاه: القدر والمنزلة)، وقد كان المسلمون فيما مضى إذا قلّت عندهم الأمطار يخرجون إلى الصحراء لصلاة الاستسقاء يسألون من الله تعالى أن يسقيهم المطر ولا شك أن الذي يتقدم الناس ويدعو الله ينبغي أن يكون وجيهًا وأن يكون له قدرٌ ومنزلةٌ عند الله تعالى. ولذلك كان الأنبياء يتقدمون في صلاة الاستسقاء ويدعون الله فيستجاب لهم وهكذا نبينا وبعض أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين سألوا الله تعالى أن يسقيهم المطر فاستجاب الله دعاءهم لمنزلتهم وقدرهم عند الله تعالى وقد قال سيدنا أبو طالب عليه السلام في شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

وأبـيض يستسـقى الغـمام بوجهـه ثـمال اليتـامى عصـمة للأرامـل

وقد تكرر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاستسقاء فاستجاب الله دعاءه وأرسل غيثًا مدرارًا، كل ذلك كرامة لوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجاهه ومنزلته العظيمة عند الله تعالى ولكنَّ مروان يقول: (بوجه يزيد يستسقى الغمام) نعم بوجهه يستسقى الغمام لفجوره وخموره وقماره ومنكراته وموبقاته ومخازيه وجرائمه وسبِّه وبهذه الفضائل يستسقى الغمام أليس كذلك؟!!

(وأعلم أن من يغبطكم بيزيد أكثر ممن يغبط يزيد بكم) يقول هذا الأحمق إن الذين يتمنون أن يخطب يزيد منهم، أكثر من الذين يتمنون أن يخطبوا منكم فتياتكم!!، فمروان اللعين يريد أن يقول إنكم تزدادون شرفًا بهذه المصاهرة وأما يزيد فإنه لا يزداد شرفًا بها لأنه أرفع منزلة وأعلى قدرًا من أن يتشرف بهذه المصاهرة – اقرأ كلامه واضحك–.

فأجابه الإمام عليه السلام: (وأما قولك: من يغبطنا به أكثر ممن يغبطه بنا فإنما يغبطنا به أهل الجهل ويغبطه بنا أهل العقل)، ومعنى كلام الإمام عليه السلام: إن الذين يجهلون القيم الإنسانية والمفاهيم الدينية هم الذين يتمنون أن يخطب يزيد منهم؛ لأنهم ينظرون إلى ما يتمتع به يزيد من متاع الدنيا والرفاه والرخاء، وأما العقلاء الذين يفهمون المقاييس الأخلاقية والقيم الروحية فهم يتمنون أن يخطبوا منا فتياتنا لأننا في أوج العظمة وذروة الشرف وقمة الفضائل، ثم قال الإمام بعد هذا الكلام: (اشهدوا جميعًا أني قد زوجت أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهمًا وقد نحلتها ضيعتي في المدينة أو قال أرضي بالعقيق (١٢٤) وإن غلتها في السنة (١٢٥) ثمانية آلاف دينار ففيها لهما غنى إن شاء الله).

أقول: وقد اشتهر في ذلك الزمان كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (بناتنا لبنينا وبنوننا لبناتنا) ومن أولى من الإمام الحسين عليه السلام بتطبيق هذا الكلام؟ قد

سبقه إلى ذلك أبوهم أمير المؤمنين عليه السلام حينما زوج ابنته زينب الكبرى عليها السلام من ابن عمه عبد الله بن جعفر ولهذا بادر الإمام الحسين عليه السلام إلى تزويج ابنة أخته من ابن عمها وقد دفع الصداق من ماله وأمن حياتها الاقتصادية بتلك المزرعة الكثيرة البركة التي وهبها لها فتغير وجه مروان وقال: (أغدرًا يا بني هاشم؟ تأبون إلا العداوة؟) إن هذا العدو الغادر ينسب الغدر والعداوة إلى آل رسول الله الذين أذهب الله الرجس وطهرهم تطهيرًا (١٢٦).

استعراض حياة السيدة زينب الكبرى عليها السلام:

بمقدار ما كانت حياة السيدة زينب الكبرى عليها السلام مشفوعة بالقداسة والنزاهة والعفة والتقوى والشرف والمجد، كانت مليئة بالحوادث والمآسي والرزايا منذ نعومة أظفارها وصغر سنها إلى أواخر حياتها. فلقد فجعت بجدها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وكان لها من العمر خمس سنوات ولكنها كانت تدرك هول الفاجعة ومضاعفاتها. ومنذ ذلك اليوم تغيرت معالم الحياة في بيتها وختمت الهموم والغموم على أسرتها؛ فقد هجم رجال السقيفة على دارها لإخراج أبيها أمير المؤمنين عليه السلام من البيت لأخذ البيعة منه بعد أن أحرقوا باب الدار وكادوا أن يحرقوا الدار بمن فيها والضرب المبرح على سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وإسقاط جنينها وغير ذلك الكثير. وكانت جميع تلك الحوادث بمرأى من السيدة زينب عليها السلام ومسميع، فقد سمعت صراخ أمها من بين الحائط والباب وشاهدت الأعداء الذين أحاطوا بها يضربونها بالسوط والسيف المغمد وغير ذلك مما أدى إلى إسقاط جنينها المحسن وكسر الضلع وتورم العضد الذي بقي أثره إلى آخر حياتها. وبعد شهور فجعت السيدة زينب عليها السلام بوفاة أمها سلام الله عليها وهي في ريعان شبابها لم تبلغ العشرين من العمر ودفنت ليلاً وسراً في

جو من الكتمان وعفي موضع قبرها إلى هذا اليوم. ومنذ ذلك الوقت كانت السيدة زينب ترى أباها أمير المؤمنين عليه السلام جالس الدار مسلوب الإمكانيات مدفوعًا عن حقه صابرًا على طول المدة وشدة المحنة. وبعد خمسٍ وعشرين سنة -بعد مقتل عثمان- أكرهوه على أن يوافق على بيعة الناس له فبايعوه بالطوع والرغبة وبلا إجبار أو إكراه من أحد. وكان أول من بايعه: الطلحة والزُبير، وكانا أول من نكث البيعة ونقض العهد، والتحقا بعائشة في مكة، وخرجا طالبين بدم عثمان، وقادا الناكثين (للبيعة) من المناوئين للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقصدا البصرة وأقاما مجزرة رهيبة – في واقعة الجمل المعروفة – وكانت حصيلتها خمسة وعشرين ألف قتيل.

بعد فترةٍ قصيرةٍ أقام معاوية واقعة صفين وقاد القاسطين واشتد القتال وكاد نسل العرب أن ينقطع من كثرة القتلى وتوقف القتال لأسباب معروفة مفصلة، ثم أعقبتها واقعة النهران التي قُتل فيها أربعة آلاف وتعتبر هذه الحروب من أهم الاضطرابات الداخلية في أيام خلافة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

وانتهت تلك الأيام المؤلمة بشهادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومقتله على يد عبد الرحمن بن ملجم.

ولما قام أخوها: الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) بأعباء الإمامة، تخاذل بعض أصحابه في حربه مع معاوية، وصدرت منهم الخيانة العظمى التي بقيت وصمة عارها إلى هذا اليوم، فاضطر الإمام الحسن (عليه السلام) إلى إيقاف القتال حقنًا لدماء من بقي من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وخلا الجو لمعاوية بن أبي سفيان وعمّاله، وظهر منهم أشد أنواع العداء المكشوف للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وسنّ معاوية لعن الإمام على المنابر في البلاد الإسلامية، وأمر

باختلاق الأحاديث في ذم الإمام والمسّ بكرامته، كل ذلك بمرايٍ من السيدة زينب عليها السلام ومسميع.

وطالت مدة الاضطهاد عشر سنوات، وانتهت إلى دس السم إلى الإمام الحسن عليه السلام بمكيدة من معاوية، وقضى الإمام نحبه مسمومًا، ورشقوا جنازته بالسهام حتى لا يُدفن عند قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١٢٧).

وهكذا امتدت سنوات الكبت والضغط، وبلغ الظلم الأموي القمة، وتجاوز حدود القسوة، وانصبت المصائب على الشيعة في كل مكانٍ، وبكيفيةٍ لا مثيل لها في التاريخ الإسلامي يوم ذاك، من قطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلب الأجساد، وأمثال ذلك من الأعمال الوحشية البربرية (١٢٨).

وعاصر الإمام الحسين تلك السنوات السود التي انتهت بموت معاوية، واستيلاء ابنه يزيد على منصة الحكم. هذه عصارة الخلاصة للجانب المأساوي في حياة السيدة زينب عليها السلام، المليء بالكوارث والحوادث طوال نيفٍ وأربعين سنةً من عمرها.

وأعظم حادثةٍ، وأهم فاجعةٍ حدثت في حياة السيدة زينب عليها السلام، هي فاجعة كربلاء، التي أنست ما قبلها من الرزايا، وهونت ما بعدها من الحوادث والفواجع (١٢٩).

مقتل أولاد السيدة زينب عليها السلام:

ما إن وصلت النوبة إلى أولاد السيدة زينب سلام الله عليها وأفلاذ كبدها الفِتية الذين سهرت السيدة زينب عليها السلام لياليها، وأتعبت أيامها، وصرفت حياتها في تربية تلك البراعم حتى نمت وأورقت.

إنها سلام الله عليها قدّمت أغلى شيء في حياتها في سبيل نصرة أخيها الحسين عليه السلام، وتقدّم أولئك الأشبال يتطوّعون ويتبرّعون بدمائهم وحياتهم في سبيل نصرة خالهم الذي كان الإسلام متجسّدًا فيه وقائمًا به، وغريزة حبّ الحياة انقلبت عندهم إلى كراهية تلك الحياة، ومن يرغب أن يعيش في أرجس مجتمع متكالب يتسابق على إراقة دماء أطهر إنسان يُعتبر مفخرة أهل السماء والأرض؟؟

وكان عبد الله بن جعفر زوج السيدة زينب عليها السلام، قد أمر ولديه عونًا ومحمّدًا أن يرافقا الإمام الحسين عليه السلام لمّا أراد الخروج من مكة والمسير معه والجهاد دونه. فلمّا انتهى القتال إلى الهاشميين، برز عون بن عبد الله بن جعفر يرتجز ويقول:

إن تنكروني فأنا ابن جعفر شهيد صدق في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفًا في المحشر

فقتل ثلاثة فرسان وثمانية عشر رجلًا، فقتله عبد الله بن قُطبة الطائي (١٣٠). ثم برز أخوه محمّد بن عبد الله بن جعفر، وهو يُنشد:

أشكو إلى الله من العدوان فعال قوم في الرّدى عميان
قد بدّلوا معالم القرآن ومحكم التنزيل والتبيان
وأظهروا الكفر مع الطغيان

فقتل عشرة من الأعداء، فقتله عامر بن نهشل التميمي (١٣١). ولقد رثاهما سليمان بن قُبَة بقوله:

وسبط النبيّ غودر فيهم قد علَوه بصارم مصقول
فإذا ما بكيت عيني فجودي بدموع تسيل كلّ مسيل
اندبي إن بكيتِ عونًا أخاه ليس فيما ينوبهم بخذول(١٣٢)

كتب المقاتل لم تذكر أن السيدة زينب عليها السلام صاحت أو ناحت أو صرخت في شهادة ولديها، لا في يوم عاشوراء ولا بعده. ومن الثابت أن مصيبة ولديها أوجدت في قلبها الحزن العميق، بل وألهبت في نفسها نيران الأسى وحرارة الثكل، ولكنها عليها السلام كانت تُخفي حزنها على ولديها، لأن جميع عواطفها كانت متجهة نحو الإمام الحسين عليه السلام. وهناك وجه آخر قد يتبادر إلى الذهن، وهو أن بكاءها على ولديها قد كان يُسبب الخجل والإحراج لأخيها الحسين عليه السلام، باعتبار أنهما قُتلا بين يديه دفاعًا عنه، فكأن السيدة زينب عليها السلام بسكوتها تريد أن تقول للإمام الحسين عليه السلام: ولداي فداء لك، فلا يُهمّك ولا يُحرجك أنهما قُتلا بين يديك (١٣٣).

ذهاب السيدة زينب عليها السلام إلى المعركة:

لمّا سقط الإمام الحسين عليه السلام على الأرض، خرجت السيدة زينب عليها السلام من باب الخيمة نحو الميدان، وهي تنادي: وا أخاه! وا سيداه! وا أهل بيتاه! ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل! ثم وجّهت كلامها إلى عمر بن سعد، وقالت: يا ابن سعد، أيُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟؟ فلم يُجبها عمر بشيء. فنادت: ويحكم! ما فيكم مسلم؟! (١٣٤) فلم يُجبها أحد بشيء.

ثم انحدرت نحو المعركة، وهي تركض مسرعة، فتارة تعثر بأذيالها، وتارة تسقط على وجهها من عِظَم دهشتها، حتى وصلت إلى وسط المعركة، فجعلت تنظر يمينًا وشمالًا، فرأت أخاها الحسين عليه السلام مطروحًا على وجه الأرض، وهو يخور في دمه، ويقبض يمينًا وشمالًا، ويجمع رجلًا ويمدّ أخرى، والدماء تسيل من جراحاته. فجلست عنده، وطرحت نفسها على جسده الشريف، وجعلت تقول: أأنت أخي؟ أأنت ابن أمي؟ أأنت

نور بصري؟ أأنت مهجة فؤادي؟ أأنت حمانا؟ أأنت رجانَا؟ أأنت ابن محمد المصطفى؟ أأنت ابن عليّ المرتضى؟ أأنت ابن فاطمة الزهراء؟ (١٣٥)

كل هذا والإمام الحسين عليه السلام لم يردّ عليها جوابًا، لأنه مشغول بنفسه، وقد استولى عليه الضعف الشديد بسبب نزف الدم وكثرة الجراحات. فقالت: أخي، بحق جدّي رسول الله إلا ما كلّمتني! وبحق أبي عليّ المرتضى إلا ما خاطبتني! وبحق أمّي فاطمة الزهراء إلا ما جاوبتني! يا ضياء عيني، كلّمني، يا شقيق روحي، جاوبني!

فعند ذلك جلست خلفه، وأدخلت يدها تحت كتفه، وأجلسته حاضنة له بصدرها، فانتبه الإمام من كلامها، وقال لها بصوت ضعيف: (أختيّة زينب، كسرتِ قلبي، وزدتِني كربًا على كربي، فبالله عليك، إلا ما سكنتِ وسكتِّ).

فصاحت: (واويلاه! يا أخي، وابن أمي، كيف أسكن وأسكت، وأنت بهذه الحالة تعالج سكرات الموت؟! روحي لروحك الفداء، نفسي لنفسك الوقاء!).

فبينما هي تخاطبه ويخاطبها، وإذا بالسوط يلتوي على كتفها، وقائلٍ يقول: تنحي عنه، وإلا ألحقْتكِ به! فالتفتت، وإذا بالشمر بن ذي الجوشن لعنه الله. فاعتنقت أخاها، وقالت: والله، لا أتنحى عنه، وإن ذبحتَه فاذبحني قبله!

فجذبها عنه قهرًا، وقال: والله، إن تقدمتِ إليه لضربتُ عنقكِ بهذا السيف! ثم جلس اللعين على صدر الإمام، فتقدمت السيدة زينب عليها السلام إليه، وجذبت السيف من يده، وقالت: يا عدو الله، ارفق به، لقد كسرتَ صدره، وأثقلتَ ظهره، فبالله عليك، إلا ما أمهلته سويعةً لأتزود منه! ويلك! أما علمتَ أن هذا الصدر تربى على صدر رسول الله، وصدر فاطمة؟! صلوات الله وسلامه عليهم. ويلك! هذا الذي ناغاه جبرائيل، وهز مهدَه ميكائيل، دعني أودعه، دعني أغمضه!

فلم يعبأ اللعين بكلامها، ولا رق قلبه عليها. (١٣٦)

ويستفاد من بعض كتب المقاتل أن السيدة زينب عليها السلام لم تكن هناك حين مجيء الشمر، بل أسرعت إلى المخيم امتثالًا لأمر الإمام الحسين عليه السلام، حيث أمرها بالرجوع إلى الخيام، ووقعت الفاجعة العظمى والرزية الكبرى، ألا وهي مقتل الإمام المظلوم أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فبدأت الأرض ترتجف تحت أرجل الناس، وانكسفت الشمس، وأمطرت السماء دمًا عبيطًا وترابًا أحمر. (١٣٧)

فأقبلت العقيلة زينب إلى مخيم الإمام زين العابدين عليه السلام، وقالت: يا ابن أخي، ما لي أرى الكون قد تغير؟! والشمس منكسفة؟! والأرض ترجف؟!

فقال لها: يا عمة، أنا عليل مريض، لا أستطيع النهوض، ارفعي جانب الخيمة، وسنديني إلى صدركِ، لأنظر ما الذي جرى؟

فنظر إلى المعركة، وإذا بفرس أبيه الحسين عليه السلام يجول في الميدان خالي السرج، وملقى العنان، ورأى رمحًا عليه رأس الحسين عليه السلام، فقال: عمة! اجمعي العيال والأطفال، لقد قُتل أبي الحسين، قُتل أسد الله الباسل، قُتل ابن سيد الأوصياء، قُتل ابن فاطمة الزهراء.

ثم غشي عليه، وسقط على الأرض مكبوبًا على وجهه، فأخذته السيدة زينب عليها السلام، ووضعته في حجرها، ونادت: اجلس، تفديك عماتك، اجلس، تفديك أخواتك، اجلس يا بقية السلف، اجلس يا نعم الخلف!

وهو لا يجيب نداها، ولا يسمع شكواها. فعند ذلك انكبت عليه، ومسحت التراب عن خدّه، ونادت: يا زين العباد، ويا مهجة الفؤاد! ففتح عينه. (١٣٨)

السيدة زينب عليها السلام تجمع العيال والأطفال:

لقد أوصى الإمام الحسين عليه السلام أخته السيدة زينب عليها السلام بالمحافظة على العيال والأطفال بعد استشهاده عليه السلام، ويعلم الله كم كان تنفيذ هذه الوصية أمرًا صعبًا، وخاصة بعد الهجوم الوحشي على مخيمات الإمام الحسين عليه السلام، وبعد إحراق الخيام وتبعثر النساء والأطفال في الصحراء.

في ساعة الهجوم على الخيام، كانت النساء تلجأن إلى السيدة زينب، وتخفين أنفسهن خلفها، وكان الأطفال ـ أيضًا ـ يفزعون إليها ويتسترون وراءها خوفًا من الضرب بالسياط والعصي، فكانت السيدة زينب (عليها السلام) تحافظ عليهم ـ كما يحافظ الطير على فراخه حين هجوم الصقور على عشه ـ فتجعل جسمها مانعًا من ضرب النساء والأطفال، وقد اسود ظهرها ـ في مدة زمنية قصيرة ـ بسبب الضرب المتوالي على جسمها.

بعد الهجوم والإحراق، بدأت السيدة زينب عليها السلام تتفقد النساء والأطفال، وتنادي كل واحدة منهن باسمها وتعدهن واحدةً واحدة، وتبحث عمن لا تجدُه من النساء والأطفال.

ونقرأ في بعض الكتب أن السيدة زينب عليها السلام لما بدأت بجمع العيال والأطفال لم تجد طفلين منهم، فذهبت تبحث عنهما هنا وهناك، وأخيرًا وجدتهما متعانقين نائمين، فلما حركتهما، وإذا هما قد ماتا من الخوف والعطش.

ولما سمع العسكر بذلك، قالوا لابن سعيد: رخّص لنا في سقي العيال (١٣٩).

وذُكر في بعض الكتب أن طفلين لعبد الرحمن بن عقيل كانا مع الحسين عليه السلام، اسمهما (سعيد وعقيل)، وأنهما ماتا من شدة العطش ومن الدهشة والذعر بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام وهجوم الأعداء على المخيم للسلب، وأمهما خديجة بنت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (١٤٠).

نياحة السيدة زينب عليها السلام على سيد الشهداء عليه السلام:

في يوم الحادي عشر من المحرم لما أراد الأعداء أن يرحلوا بقافلة نساء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كربلاء إلى الكوفة مروا بهن على مصارع القتلى وهم جثث مرملة ومطروحة على التراب.

فلما نظرت النساء إلى تلك الجثث صحن وبكين ولطمن خدودهن، وأما السيدة زينب عليها السلام فقد كانت تلك الساعة من أصعب الساعات على قلبها وخاصة لما نظرت إلى جثة أخيها العزيز الإمام الحسين عليه السلام وهو مطروح على الأرض بلا دفن وبتلك الحالة المُقْرِحة للقلب. يعلم الله تعالى مدى الحزن الشديد والألم النفسي الذي خيم على قلب السيدة زينب عليها السلام وهي ترى أعز أهل العالم وأشرف من على وجه الأرض بحالة يعجز القلم واللسان عن وصفها.

فقد مدّ أولئك الذئاب المفترسة -الذين لا يستحقون إطلاق اسم البشر عليهم فكيف باسم الإنسان وكيف باسم المسلم- أيديهم الخبيثة إلى جسد أطهر إنسان على وجه الكرة الأرضية آنذاك وأراقوا دماءً كانت جزءًا من دماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقطعوا نحرًا قبله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مئات المرات وعفّروا خدًّا طالما التصق بخدّ الرسول الأطهر صلى الله عليه وآله وسلم ورضّوا وسحقوا جسدًا كان يُحمَل على أكتاف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولقد كان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يحافظ على ذلك الجسم العزيز حتى من النسيم والمطر فكيف من غيره؟؟ نعلم أن المجرمين الجناة كانوا عديمي الضمير وفاقدين الوعي والإدراك للمفاهيم فانقلبوا إلى سباع ضارية وذئاب مفترسة ووحوش كاسرة لا تفهم معنى العاطفة والشرف والفضيلة ولا تدرك إلا هواها الشيطاني فصنعت ما صنعت بذلك الإمام المتكامل شرفًا وعظمة وجعلت جسمه

هدفًا لسيوفها وسهامها وميدانًا لخيولها وهم يحاولون أن لا يتركوا منه أثرًا يُرى ولا أعضاءً فتوارى.

كان هذا المنظر والمظهر الشجي المقَرِّح للقلب الموجع للروح بمرأى من السيدة زينب عليها السلام فهي ترى نفسها بجوار إمامها وإمام العالم كله وسيد شباب أهل الجنة. فلا عجب إذا احتضنته تارة وألقت نفسها عليه تارةً أخرى تبكي عليه بدموع منهمرة متواصلة وتندبه من أعماق نفسها تكاد روحها تخرج من زفراتها وآهاتها، تندبه بكلمات منبعثة من أطهر قلب خالية من كل رياء وتصنع، وكل كلمةٍ منها تُعتبَر إعلانًا عن حدوث أكبر فاجعة وأوجع مصيبة، إنها سجلت تلك الكلمات على صفحات التاريخ لتكون خالدة بخلود الأبد، تقرؤها الأجيال قرنًا بعد قرن، وأمةً بعد أمة، ليستلهموا منها الدروس والعبر، ولكي تبقى المدرسة الزينبية خالدة بخلود كل المفاهيم العالية والأصول الإنسانية. نعم، كلمات تقرع الأسماع كصوت الرعد فتضطرب منها القلوب وتتوتّر منها الأعصاب وتسخن الغدد الدمعية المنصوبة على قمة العينين فلا تستطيع الغدد حبس الدموع ومنعها من الخروج والهطول، وتضيق الصدور فلا تستطيع كبت الآهات والنحيب والزفير.

أجل إنها معجزة وأية معجزة صدرت من سيدة قبل أربعة عشر قرنًا أراد الله تعالى لها البقاء لتكون تلك المعجزة غضّة وكأنها حادثة اليوم وحدث الساعة. كان المفروض أن تفقد السيدة زينب عليها السلام وعيها وتنهار أعصابها وتنسى كل شيء حتى نفسها وتتَعطّل ذاكرتها أمام جبال المصائب والفجائع والهموم والأحزان. نعم هذا كان المفروض ولكن إيمانها الراسخ العجيب بالله تعالى وقلبها المطمئن بذكر الله عزّ وجلّ كان هو الحاجز عن صدور كلمات تنافي الوقار والاتّزان والخروج عن الحالة الطبيعية وليس ذلك السكوت الذي يساوي عدم الاهتمام بتلك الفاجعة أو عدم المبالاة بما جرى بل لا بدّ من إيقاظ الشعور العام لتلك الجناية العظمى التي صدرت من أرجس عصابة على وجه الأرض فلا

عجب إذا هاجت أحزانها هيجان البحار المتلاطمة وتفايض قلبها الكبير بالعواطف والمحبة وجعلت تندب أخاها بكلمات في ذروة الفصاحة وتُعتبر أبلغ كلمات سجلها التاريخ في الرثاء والتأبين وفي مقام التوجّع والتفجّع. قال الراوي: (١٤١) فوالله لا أنسى زينب بنت عليّ وهي تندب أخاها الحسين عليه السلام بصوت حزين وقلب كئيب: (يا محمداه صلى عليك مليك السماء، هذا حسين مرمّل بالدماء، مقطع الأعضاء، مسلوب العمامة والرداء، محزوز الرأس من القفا، ونحن بناتك سبايا، إلى الله المشتكى، وإلى محمد المصطفى، وإلى عليّ المرتضى، وإلى فاطمة الزهراء، وإلى حمزة سيد الشهداء، عليهم صلوات الله جميعًا. يا محمداه، هذا حسين بالعراء (١٤٢) تسفي عليه رياح الصبا، قتيل أولاد البغايا، واحزناه، واكرباه عليك يا أبا عبد الله، بأبي من لا هو غائب فيُرتجى، ولا جريح فيُداوى، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى...). فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق، واعتنقت زينب عليها السلام جثمان أخيها، ووضعت فمها على نحره، وهي تُقبّله وتقول: (أخي لو خُيّرت بين البقاء عندك أو الرحيل لاخترت البقاء عندك ولو أن السباع تأكل من لحمي). يا ابن أمي لقد كللت عن المدافعة لهؤلاء النساء والأطفال، وهذا متني قد اسودّ من الضرب. (١٤٣)

خطبة السيدة زينب عليها السلام في الكوفة:

تُعتبر خطبة السيدة زينب عليها السلام في الكوفة وفي مجلس يزيد في الشام في ذروة الفصاحة، وقمّة البلاغة، وآية في قوة البيان، ومعجزة في صلابة القلب والأعصاب، وعدم الوهن والانكسار أمام الطاغية، ومن كان يُحيط به من الحرس المسلّحين، والجلاوزة، والجلّادين، الذين كانوا على أُهبة الاستعداد، ينتظرون الأوامر ليُنفّذوها بأسرع ما يُمكن من الوقت. وهنا سؤال قد يتبادر إلى الذهن، وهو: إنّ السيدة زينب عليها السلام كانت سيدة المحجّبات والمخدّرات، ولم يسبق لها أن خطبت في مجلس رجال أو مجتمع عام، وليس

من السهل عليها أن ترفع صوتها وتخطب في تلك الاجتماعات؛ فلماذا قامت السيدة سلام الله عليها بإلقاء الخطبة على مسامع الجماهير مع تواجد الإمام زين العابدين عليه السلام، مع العلم أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان أقوى وأقدر على فنون الخطابة، وأولى بالتحدث في جموع الرجال؟ لعل الجواب هو: إن الضرورة أو الحكمة اقتضت أن يسكت الإمام زين العابدين عليه السلام طيلة هذه المسيرة كي لا يجلب انتباه الناس إلى قدرته على الكلام، وحتى يستطيع أن يصب جام غضبه كله على يزيد في الجامع الأموي بمرأى ومسمع من آلاف المصلين الذين حضروا يوم ذاك لأداء صلاة الجمعة خلف يزيد. فلما كان الإمام زين العابدين عليه السلام يخطب في أثناء هذه الرحلة في الكوفة وغيرها، فلعلّه، لم ولن يكن يُسمح له بالخطبة في أي مكان آخر، فكانت تفوته الفرصة الثمينة، وهي فرصة التحدث إلى تلك الجماهير المتجمهرة في الجامع الأموي.

علماً أنَّه لم يبقَ من آل الرسول في تلك العائلة رجلٌ سوى الإمام زين العابدين عليه السلام، ولهذا السبب كانت تتولى السيدةُ زينبُ سلامُ الله عليها الخطابة في المواطن والأماكن التي تراها مناسبة، وليس معنى ذلك أنها فتحت الطريق أمام النساء ليخطبن في جموع الرجال والمجتمعات العامة كالأسواق والساحات وغيرها، بل إنَّ الضرورةَ القصوى كانت وراء خطبتها عليها السلام.

ثانيًا: لقد كانت حياة الإمام زين العابدين عليه السلام مُهدَّدة بالخطر خلال هذه المرحلة، وخاصة في الكُوفة، فكم من مرةٍ حَكموا على الإمام بالقتل والإعدام، لولا أن دفع الله شرَّهم! فما ظنُّك لو كان الإمام عليه السلام يخطب في شارع الكوفة، أي في مجلس الدعيّ ابن الدعيّ عبيد الله ابن زياد، والحالُ هذه؟ هل كان يَسلَم من القتل؟

طبعًا لا؛ إنهم أرادوا أن يقتلوه وهو بعدُ لم يخطب شيئًا، فكيف لو كان يخطب في الناس ويكشف لهم عن مساوئ بني أمية ومخازيهم، ويُبيِّن لهم أبعاد جريمة مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته ومضاعفاتها ؟ (١٤٤).

كيف ولماذا قُطع على السيدة زينب عليها السلام خطابها؟

كانت السيدة زينب عليها السلام، الشجاعةُ المفجوعة، تتكلم بصوتٍ شجي، وكلُّ كلمةٍ منها تُلهب أحاسيس الحزن والأسى والندم في الناس، حتى ضجّ الناس بالبكاء والعويل، وارتبكت قوات الأمن والشرطة، وصار كلُّ احتمالٍ للتمرد والانتفاضة واردًا. فكيف يتصرّفون؟ وماذا يصنعون حتى يَقطعوا على السيدة زينب عليها السلام خطابها، ويصرفوا أذهان الناس إلى شيءٍ آخر؟

هناك من يقول: أمروا بحركة القافلة، وجاؤوا بالرُّمح الذي عليه رأس الإمام الحسين عليه السلام، وقربوه من محمل السيدة زينب عليها السلام، وتعالت صرخات الناس: "هذا رأس الحسين! هذا رأس الحسين!" وكانت عينا الحسين عليه السلام مفتوحتَين، وهو ينظر نظرةً فريدة، وصفها المؤرخون بقولهم: "شاخصٌ ببصره نحو الأفق."

وهنا، لم تستطع السيدة، رغم شجاعتها وانطلاقها في الكلام، أن تستمر، فهاج بها الحزن من ذلك المنظر الذي وَتَرَ أعصابها، وأوشك أن يقضي عليها بسبب الألم الذي بدأ يعصر قلبها العطوف - يعلم الله درجتها- ، فكان رد الفعل منها: أنها نطحت جبينها بمقدَّم المحمل وبكلِّ قوة، حتى سال الدم من رأسها وجبينها، وأومأت إليه بخرقة حسب العادة العشائرية المتّبعة يوم ذاك عند رؤية جنازة الفقيد الغالي.

وشاهدت أن الناس يُشيرون بأصابع أيديهم إلى رأس الإمام الحسين عليه السلام، كما يُشيرون إلى مكان وجود الهلال في أول ليلة من الشهر، فنادت السيدة زينب عليها السلام:

يـــا هـــلالًا لمـــا اســـتتم كـــمالًا غالـــه خَسْـــفُهُ فأبـــدى غُروبًـــا

مـــا توهمـــت يـــا شـــقيق فـــؤادي كـــان هـــذا مقـــدرًا مكتوبـــا

ويصوّر أحد الشعراء، وهو الحاج هاشم الكعبي، ذلك الموقف الحزين:

كانت مع السيدة زينب عليها السلام في محملها طفلةٌ صغيرةٌ للإمام الحسين عليه السلام، فحينما رأت رأس أبيها، بدأت تُناديه: يا أبه، يا أبه، كلّمني، أين كنت؟

ولما لم تسمع جوابا، انفجرت بالبكاء الشديد، فنادت السيدة زينب، مخاطبةً رأس أخيها العزيز:

يـــا أخـــي، فـــاطم الصـــغيرة كَلِّمْهـــا فقـــد كـــاد قلبهـــا أن يـــذوبا

الاحتمال الثاني:

أن الإمام زين العابدين عليه السلام تقدّم إلى عمّته، ولعلّ ذلك بأمرٍ من الشرطة، وقال: "يا عمّةُ، اسكتي، ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنتِ بحمد الله عالمةٌ غيرُ معلَّمة، وفَهِمةٌ غيرُ مُفهَّمة، إنّ البكاء والحنين لا يردّان من قد أباده الدهر"، فسكتت (١٤٥).

السيدة زينب عليها السلام في مجلس عبيد الله ابن زياد:

ذكر الشيخ المفيد في كتاب "الإرشاد": وأُدخل عيال الحسين عليه السلام على ابن زياد، فدخلت زينب أخت الحسين عليه السلام في جُمْلتهم متنكرة، وعليها أرذل ثيابها، فمضت حتى جلست ناحيةً من القصر، وحفّت بها إماؤها، فقال ابن زياد: "من هذه التي

انحازت ناحيةً ومعها نساؤها؟" فلم تجبْه زينب، فأعاد القول ثانية وثالثة يسأل عنها، فقالت له بعض إمائها: "هذه زينب بنت فاطمة الزهراء بنت رسول الله."

فأقبل عليها ابن زياد، وقال لها: "الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم" (١٤٦).

فقالت زينب عليها السلام: "الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وطهّرنا من الرجس تطهيرًا، وإنما يُفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا، والحمد لله." فقال ابن زياد: "كيف رأيتِ فعلَ الله بأهل بيتك؟" (١٤٧)

فقالت: "ما رأيتُ إلّا جميلًا، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّون إليه وتختصمون عنده، فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة."

فغضب ابن زياد واستشاط (١٤٨)، فقال له عمرو بن حريث: "أيها الأمير، إنها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها."

فقال ابن زياد: "لقد شفى الله قلبي من طاغيتِكِ الحسين والعُصاةِ من أهل بيتك."

فرقّت زينب وبكت، وقالت له: "لعمري، لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت."

فقال ابن زياد: "هذه شجاعة، ولعمري لقد كان أبوها شجاعًا شاعرًا" (١٤٩).

ثم التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين وقال له : من أنت؟ (١٥٠) فقال: "أنا علي بن الحسين." فقال: "أليس الله قد قتل علي بن الحسين؟" فقال: "كان لي أخ يُسمّى علي بن الحسين، قتله الناس." فقال ابن زياد: "بل الله قتله." فقال علي بن الحسين عليه السلام: "الله يتوفّى الأنفس حين موتها."

فغضب ابن زياد، وقال: "ولك جرأة على جوابي، (١٥١) وفيك بقية للردّ عليّ؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه!" فتعلّقت به عمّته زينب، وقالت: "يا ابن زياد، حسبك من دمائنا!" واعتنقته، وقالت: "والله لا أفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه!"

فنظر إليها ابن زياد ساعةً، وإليه ساعة، ثم قال: "عجبًا للرحم! والله إنّي لأظنّها ودّت أنّي قتلتها معه! دعوه، فإنّي أراه لما به" (١٥٢).

ثم أمر ابن زياد بعلي بن الحسين وأهله، فحُملوا إلى دار حيث المسجد الأعظم، فقالت زينب بنت علي عليهما السلام: "لا يدخلنّ علينا عربيةٌ إلّا أمّ ولد أو مملوكة، فإنّهنّ سبين وقد سبينا" (١٥٣).

وفي هذا الحوار القصير بين الخير والشر، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين القداسة والرجس، وبين ربيبة الوحي وعقيلة النبوة، وبين الدعيِّ وابن الدعيّ، انكشفت نفسيات كلٍّ من الفريقين.

أرأيت كيف صرّح ابن زياد بالحقد والعداء لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والشماتة، وبذاءة اللسان، وحقارة النفس، ودناءة الروح، وقذارة الأصل؟

فهو يحمد الله تعالى على قتل أولياء الله، وتدفعه صلافته أن يقول: "فضحكم."

وليت شعري أي فضيحةٍ يقصدها؟ وهل في حياة أولياء الله من فضيحة؟ أليس الله تعالى قد أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا؟ أليس نسبهم أرفع نسب في تاريخ العظماء؟ أليست حياتهم متلألئة بالفضائل والمكارم؟

وهل –والعياذ بالله– توجد في حياتهم منقصةٌ واحدة أو عيبٌ واحد حتى يُفتَضحوا؟

ولكن ابن زياد يقول: "فضحكم"، ويزداد ذلك الرجس عتوًّا ويقول: "وأكذب أحدوثتكم."

والأحدوثة: ما يتحدَّث به الناس من الثناء والكلام الجميل.

والقرآن الكريم هو الذي يُثني على آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فهل يُكذّب الله تعالى –والعياذ بالله– القرآن الذي هو كلامه عز وجل؟

والرسول الأقدس، الذي ما ينطق عن الهوى، إن هو إلّا وحيٌ يُوحى، قد أثنى على أهل بيته بالحق والصدق، فهل يُكذّب الله تعالى رسوله الأطهر، الذي هو أصدق البرية لهجة؟

وقد فَرضَتْ الضرورة على حفيدة النبوة، ووليدة الإمامة، ورضيعةِ العصمة، أن تتنازل وتُجيب على تلك الكلمات الساقطة السافلة (١٥٤).

السيّدة زينب الكبرى عليها السلام في طريق الشام:

لم يذكر التاريخ المدّة التي فيها قُطعت المسافة بين الكوفة والشام، ولكنّنا نعلم أنّها كانت رحلة مليئة بالإزعاج والإرهاق وأنواع الصعوبات، فقد تلقّى الأفراد المرافقون للعائلة المكرّمة الأوامر بأن يُعاملوا النساء والأطفال بمنتهى القسوة والفظاظة، فلا يسمحوا لهم بالاستراحة اللازمة من أتعاب الطريق ومشاقّه وصعوباته، بل عليهم أن يُواصلوا السير الحثيث للوصول إلى الشام وتقديم الرؤوس إلى الطاغية يزيد. ومن الثابت أنه كان للسيّدة زينب عليها السلام الدور الكبير في إدارة العائلة، والمحافظة على حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، وحماية النساء والأطفال، والتعامل معهم بكل عاطفة وحنان، محاولةً منها ملء بعض ما كانوا يشعرون به من الفراغ العاطفي، والحاجة إلى من يُهوِّن عليهم مصائب الأسر ومتاعب السفر.

ورُوي أن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام قال: (إنّ عمّتي زينب كانت تُؤدّي صلواتها الفرائض والنوافل من قيام عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام، وفي بعض المنازل كانت تُصلّي من جلوس، فسألتها عن سبب ذلك؟ فقالت: أُصلّي النوافل من جلوس لشدّة الجوع والضعف، وذلك لأنّي منذ ثلاث ليالٍ أُوزّع ما يُعطونني من الطعام

على الأطفال، فالقوم لا يدفعون لكلّ واحد منّا إلّا رغيفًا واحدًا من الخبز في اليوم والليلة). (١٥٥)

لقد كانت الحكمة والمصلحة تقتضيان أن يبقى الإمام زين العابدين عليه السلام بمعزل عن انتباه الأعداء والجواسيس المرافقين، ولا يتكلّم بأيّ جملة من شأنها جلب الانتباه إليه، ولذلك جاء في التاريخ أن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام ما كان يُكلّم أحدًا من القوم طوال الطريق إلى أن وصلوا إلى باب قصر يزيد بدمشق. (١٥٦)

من هنا، فقد كان الدور الأكبر مُلقى على عاتق السيّدة الكفوءة زينب الكبرى عليها السلام. نقرأ في كتب التاريخ أنّه في طريقهم إلى الشام مرّوا على منطقة (قصر بني مقاتل) (١٥٧)، وكان ذلك اليوم شديد الحرّ وقد نَزَفَت القِربة التي كانت معهم وأُريق ماؤها (١٥٨)، فاشتدّ بهم العطش، وأمر عمر بن سعد جماعة من قومه أن يبحثوا عن الماء، وأمر أن تُضرَب خيمة ليجلس فيها هو وأصحابه لكي تحميهم من حرارة الشمس، وتركوا عائلة الحسين عليه السلام وجميع النساء والأطفال تصهرهم حرارة الشمس. وأقبلت السيّدة زينب عليها السلام إلى ظلّ جمل هناك، وقد أمسكت بالإمام عليّ بن الحسين عليه السلام وهو في حالة خطرة وقد أشرف على الموت من شدّة العطش، وبيدها مِروحة تُروّحه بها من الحرّ، وهي تقول: (يعزّ عليّ أن أراك بهذا الحال يا بن أخي). وذهبت السيّدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام إلى ظلّ شجرة كانت هناك، وعملت لها وسادة من التراب ونامت عليها، فما مضت ساعة إلّا وبدأ القوم يرحلون عن ذلك المكان مع السبايا وتركوا سكينة نائمة في مكانها.

فقالت فاطمة الصغرى، وكانت عديلة سكينة (١٥٩)، للحادي (١٦٠): (أين أختي سكينة؟ والله لا أركب حتّى تأتي أختي). فقال لها: وأين هي؟ فقالت: لا أدري أين ذهبت. فصاح القائل للقافلة بأعلى صوته: يا سكينة، هلمّي واركبي مع النساء. فلم تستيقظ سكينة

من نومها لشدّة ما بها من التعب والإرهاق، وبقيت نائمة، ولمّا أضرّ بها الحرّ والعطش وانتبهت من نومها جعلت تمشي وراء غُبار القافلة وهي تصيح: (أخيّة فاطمة، ألست عديلتك في المحمل وأنت الآن على الجمل، وأنا حافية؟). فعطفت عليها أختها وقالت للحادي: (والله، لئن لم تأتني بأختي لأرمينّ نفسي من هذا الجمل، وأُطالبك بدمي عند جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة). فقال لها: من تكون أختك؟ قالت: سكينة التي كان يُحبّها الإمام الحسين عليه السلام حبًّا شديدًا. فرقّ لحالها الحادي، ورجع إلى الوراء حتى وجد أختها وأركبها معها. (١٦١)

وقد جاء في التاريخ: أنّه في ليلة من الليالي، بينما القوم يسيرون في ظلام الليل، بدأت السيّدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام بالبكاء، إذ تذكّرت أيام أبيها وما كان لها من العزّ والاحترام، ثم هي الآن أسيرة بعد أن كانت في أيام أبيها عزيزة، واشتدّ بكاؤها، فقال لها الحادي: اسكتي يا جارية، فقد آذيتني ببكائك! فما سكتت، بل غلب عليها الحزن والبكاء، وأنّت أنّة موجعة، وزفرت زفرة كادت روحها أن تخرج، فزجرها الحادي وسبّها، فجعلت سكينة تقول في بكائها: وا أسفاه عليك يا أبي، قتلوك ظلمًا وعدوانًا.

فغضب الحادي من قولها، وأخذ بيدها وجذبها ورمى بها إلى الأرض، فلما سقطت غشي عليها، فما أفاقت إلا والقافلة قد مشت، فقامت وجعلت تمشي في ظلام الليل، وهي تقوم مرة وتقعد مرة، وتستغيث بالله وبأبيها، وتنادي عمتها وتقول: يا أبتاه، مضيت عني وخلّفتني وحيدة غريبة، فإلى من ألتجئ؟ وبمن ألوذ في ظلمة هذه الليلة في هذه البيداء؟؟

فركضت ساعة من الليل وهي في غاية الوحشة، فلم تر أثراً من القافلة، فسقطت مغشياً عليها. فعند ذلك اقتلع الرمح الذي كان عليه رأس الإمام الحسين عليه السلام من يد حامله، وانشقت الأرض، ونزل الرمح إلى نصف الأرض، وثبت كالمسمار الذي يثبت في الحائط، وكلما حاول حامل الرمح أن يخرجه من الأرض لم يتمكن، واجتمعت جماعة من

القوم وحاولوا إخراج الرمح فلم يستطيعوا ذلك. فلما سألوا الإمام زين العابدين عليه السلام، قال: قولوا لعمتي زينب تتفقد الأطفال، فلربما ضاع منهم طفل. فلما قيل لزينب الكبرى ذلك، جعلت تتفقد الأطفال وتنادي كل واحد منهم باسمه، فلما نادت سكينة لم تجبها، فرمت السيدة زينب عليها السلام بنفسها من على ظهر الناقة، وجعلت تنادي: وا غربتاه، وا حسيناه، بنية سكينة، في أي أرض طرحوك؟ أم في أي واد ضيعوك؟

ورجعت إلى وراء القافلة وهي تعدو في البراري حافية، والأشواك تجرح رجليها، وتصرخ وتنادي، وإذا بسواد قد ظهر، فمشت نحوه، وإذا هي سكينة، فرجعتا معاً نحو القافلة. (١٦٢)

وروي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه سأل أباه علي بن الحسين عليه السلام عما جرى له في طريق الشام؟ فقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: حملت على بعير هزيل بغير وطاء، ورأس الحسين عليه السلام على علم، ونسوتنا خلفي على بغال، والحرس خلفنا وحولنا بالرماح، إن دمعت من أحدنا عين، قرع رأسه بالرمح، حتى دخلنا دمشق، صاح صائح: يا أهل الشام، هؤلاء سبايا أهل البيت. (١٦٣)

السيدة زينب عليها السلام في الشام:

وصل موكب الحزن والأسى إلى دمشق، عاصمة الأمويين، ومركز قيادتهم، وبؤرة الحقد والعداء، ومسكن الأعداء الألداء. وقد اتخذ يزيد التدابير اللازمة لصرف الأنظار عن الواقع والحقيقة، محاولًا في ذلك تغطية الأمور وتمويه الحقائق، فأمر بتزيين البلدة بأنواع الزينة، ثم أعلن في الناس عن وصول قافلة أسارى وسبايا، خرج رجالهم من الدين، فقضى عليهم يزيد وقتلهم وسبى نساءهم، ليعتبر الناس بهم، ويعرفوا مصير كل من تمرّد على

حكم يزيد. ومن الواضح أن الدعاية والإعلام لهما دورهما في تمويه الحقائق، خصوصًا على السذج والعوام من الناس.

استمع إلى الصحابي سهل بن سعد الساعدي: خرجت من بيت المقدس حتى توسطت الشام، فإذا أنا بمدينة مطّردة الأنهار، كثيرة الأشجار، قد علّقوا الستور والحجب والديباج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يَلعَبْنَ بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: لا نرى لأهل الشام عيد لا نعرفه نحن.

فرأيت قومًا يتحدثون، فقلت: يا قوم، ألكم في الشام عيد لا نعرفه نحن؟ فقالوا: يا شيخ، نراك أعرابيًّا غريبًا. فقلت: أنا سهل بن سعد، قد رأيت محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم. قالوا: يا سهل، ما أعجبك السماء لا تمطر دمًا؟!، والأرض لا تُخسف بأهلها! قلت: ولم ذاك؟ قالوا: هذا رأس الإمام الحسين، عترة محمد، يُهدى من أرض العراق.

فقلت: واعجباه! يُهدى رأس الحسين والناس يفرحون؟! ثم قلت: من أي باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب يُقال له (باب الساعات). فبينما أنا كذلك، إذ رأيت الرايات يتلو بعضها بعضًا، فإذا نحن بفارس بيده لواء منزوع السنان (١٦٤)، عليه رأس من أشبه الناس وجهًا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...

فإذا أنا من ورائه، رأيت نسوة على جمال بغير وطاء، فدنوت من أولاَهن، فقلت: يا جارية، من أنت؟ فقالت: أنا سكينة بنت الحسين. فقلت: ألك حاجة إليّ؟ فأنا سهل بن سعد، ممن رأى جدّك، وسمع صوته وحديثه. قالت: يا سهل، قل لصاحب هذا الرأس أن يقدّم الرأس أمامنا حتى ينشغل الناس بالنظر إليه، ولا ينظروا إلى حرم رسول الله. قال سهل: فدنوت من صاحب الرأس، فقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ مني أربعمائة دينار؟ قال: ما هي؟ قلت: تقدّم الرأس أمام الحرم. فقبل ذلك، فدفعت إليه ما وعدته (١٦٥).

ولما أدخلوهن دمشق، طافوا بهن في الشوارع المؤدية إلى قصر الطاغية يزيد، ومعهن الرؤوس على الرماح، ثم جاؤوا بهن حتى أوقفوهن على دكة كبيرة كانت أمام باب المسجد الجامع، حيث كانوا يوقفون سبايا الكفار على تلك الدكة، ويعرضونهن للبيع، ليتفرج عليهن المصلون عند دخولهم إلى المسجد وخروجهم منه، وبذلك يختاروا من يريدونه للاستخدام ويشتروه!

تعسًا للذين كانوا يعتبرون أنفسهم مسلمين ومن أمة محمد رسول الله! أوقفوا آل الرسول على تلك الدكة! يا للأسف، يا للمأساة، يا للفاجعة، يا للمصيبة!

وجاء شيخ ودنا من نساء الحسين عليه السلام، وقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم، وأراح البلاد من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم! فقال علي بن الحسين عليه السلام: يا شيخ، هل قرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: هل قرأت هذه الآية: (قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى) (١٦٧)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك. فقال له الإمام: نحن القربى يا شيخ، فهل قرأت: ﴿وآت ذا القربى حقه﴾؟

فقال الإمام: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى﴾؟ قال: نعم ، فقال الإمام: فنحن القربى يا شيخ، وهل قرأت هذه الآية: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرًا﴾؟ (١٦٨)

قال الشيخ: قد قرأت ذلك ، فقال الإمام: نحن أهل البيت الذين خصّنا الله بآية الطهارة يا شيخ ، قال الراوي: بقي الشيخ ساكتًا نادمًا على ما تكلّم به، وقال ـ متعجبًا ـ: تالله إنكم هم؟!

فقال علي بن الحسين: تالله إنا لنحن هم.. من غير شك، وحقّ جدّنا رسول الله إنا لنحن هم.

فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني أبرأ إليك من عدوّ آل محمد، من الجنّ والإنس.

ثم قال: هل لي من توبة؟ فقال له الإمام: نعم، إن تبت، تاب الله عليك، وأنت معنا. فقال الشيخ: أنا تائب. فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ، فأمر به، فقتل (١٦٩).

لماذا خطبت السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد؟

لقد شاهدت السيدة زينب عليها السلام مشاهد وقضايا، وسمعت من يزيد كلمات تُعد من أشد أنواع الإهانة والاستخفاف بالمقدسات، وأقبح أشكال الاستهزاء بالمعتقدات، وأبشع مظاهر الدناءة واللؤم في تصرفاته الحاقدة، مظاهر وكلمات يُشم منها إلحاد يزيد وزندقته، وإنكاره لأهم المعتقدات الإسلامية.

مضافًا إلى ذلك، أن يزيد قام بجريمة كبرى، وهي أنه وضع رأس الإمام الحسين عليه السلام أمامه، وبدأ بضربه بالعصا على شفتيه وأسنانه، وهو حينئذ يشرب الخمر.

فهل يصح ويجوز للسيدة زينب عليها السلام أن تسكت، وهي ابنة صاحب الشريعة الإسلامية، الرسول الأقدس سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ كيف تسكت وهي تعلم أن بإمكانها تزييف تلك الدعاوى، وتنتقد تلك الأباطيل؟! إنها مسلّحة بسلاح المنطق المُقحم، والدليل القاطع، وقدرة البيان، وقوة الحُجّة.

ولعل التكليف الشرعي فرض عليها أن تكشف الغطاء عن الحقائق المخفّية عن الحاضرين في ذلك المجلس الرهيب، لأن المجلس كان يحتوي على شخصيات عسكرية ومدنية، ومن شتّى طبقات الناس، فقد كان يزيد قد أذن للناس كافة في دخول ذلك المجلس، فمن الطبيعي أن تموج الجماهير في ذلك المكان وحوله، وقد خدعتهم الدعايات الأموية، وجعلت على أعينهم أنواعًا من الغشاوة، فصاروا لا يعرفون الحق من الباطل منذ أربعين سنة، طيلة أيام حكم معاوية بن أبي سفيان على تلك البلاد. وعلامات الفرح

والسرور تبدو على الوجوه بسبب انتصار السلطة على "عصابة" عرّفتهم أجهزة الدعاية الأموية بصورة مشوّهة. وقد تعوّد أهل الشام على مشاهدة قوافل الأسرى التي كانت تُجلب إلى دمشق بعد الفتوحات.

أما ينبغي لحفيدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تنتهز هذه الفرصة وتجازف بحياتها في سبيل الله، وتنفض الغبار عن الحق والحقيقة، وتعرّف الباطل بكل صراحة ووضوح؟ بالرغم من أنها كانت أجلّ شأنًا وأرفع قدرًا من أن تخطب في مجلس ملوّث لا يليق بها، لأنها سيّدة المخدّرات والمحجّبات، ولكن الضرورة أباحت لها أن توقظ تلك الضمائر التي عاشت في سبات، وتعيد الحياة إلى القلوب التي أماتتها الشهوات، وغمرتها أنواع الفجور والانحراف عن الفطرة، فباتت وهي لم تسمع كلمة موعظة من واعظ، ولا نصيحة من ناصح. (١٧٠)

زينب ومصائب كربلاء:

إن المصائب التي ألّمت بالصديقة الصغرى زينب الكبرى ابنة عليّ عليهما السلام في كربلاء متنوّعة، اخترتُ منها:

١) ما رأته أوّل ما نزلت في كربلاء من معارضة الحرّ وإجبار أخيها عليه السلام على النزول.

٢) ما شاهدته من القلّة في أصحاب أخيها، وكثرة الجيوش من الأعداء.

٣) ما شاهدته من تفرّق من كان مع أخيها، وذهاب الأكثر ممن تبعه حين خطبهم بخطبته المشهورة بعدما بلغه خبر قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة عليهما السلام، فتفرّق الناس عنه يمينا وشمالا، حتى لم يبقَ إلّا الذين قتلوا معه.

٤) ما كانت تشاهده من اضطراب النساء وخوفهنّ حين نزلوا كربلاء.

٥) ما شاهدته من عطشها وعطش أهل بيتها، عندما منعهم القوم عن الماء.

٦) ما كانت تقوم به من مدارات الأطفال والنساء، وهم في صراخ وعويل من العطش.

٧) ما كانت تنظر إليه من الانكسار في وصيّة أخيها عليه السلام.

٨) حين شاهدت إخوتها وبني إخوتها وبني عمومتها وشيعة أخيها يبارزون ويُقتلون الواحد بعد الآخر.

٩) ما شاهدته من مقتل ولديها، كذلك حين شاهدت أخاها الحسين عليه السلام وحيدًا فريدًا لا ناصر له ولا معين، وقد أحاط به الأعداء من كل جانب ومكان.

١٠) حين شاهدت رأس أخيها على الرمح دامِي الوجه، خصيب الشيبة.

١١) ومنها حين ازدحم القوم على رحل أخيها، ومناديهم ينادي: "أحرقوا بيوت الظالمين".

١٢) ومنها أنّ القوم أحرقوا الخيام، وفرّ الأطفال على وجوههم في البيداء.

١٣) ومنها مرورها على مصرع أخيها، ورؤيتها جسده الشريف ملقى على الأرض، تسفي عليه الرياح.

١٤) ومنها لما أركبوها النياق المهزولة، هي والعيال والأطفال.

١٥) ومنها مداراتها زين العابدين عليه السلام، وهو من شدّة مرضه لا يطيق الركوب، وقد قيّدوهم من تحت بطن الناقة.

١٦) وهناك مصائب أخرى، أشدّها: كانت تنظر إلى قتلة أخيها وأصحابه وهم يسرحون ويمرحون، والسياط بأيديهم يضربون الأطفال والنساء، وهم في غاية الشماتة بها وبأهل بيتها.

١٧) بالجملة، إذا صحّت الكلمة، فإنّ مصائب هذه الحرّة الطاهرة زادت على مصائب أخيها الحسين عليه السلام الشهيد أضعافا مضاعفة، فإنّها شاركته في جميع مصائبه، وانفردت عنه عليه السلام بالمصائب التي رأتها بعد قتله: من النهب والسلب والضرب، وحرق الخيام، والأسر، وشماتة الأعداء.

أمّا القتل، فإنّ الحسين عليه السلام قُتل ومضى شهيدًا إلى روح وريحان، وجنّة ورضوان، وكانت زينب في كل لحظة من لحظاتها تُقتل قتلًا معنويًّا بين أولئك الظالمين القتلة. (١٧١)

وإذا تصفّحنا كتاب الإرشاد للمفيد نرى ما قاله عليّ بن الحسين عليه السلام:

"إنّي جالس في تلك العشيّة التي قتل أبي في صبيحتها، وعندي عمّتي زينب تمرّضني، إذ اعتزل أبي في خباء له، وعنده جون مولى أبي ذرّ الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:

يـا دهـر أفّ لـك مـن خليـل ... كـم لـك بـالإشراقِ والأصـيل

مـن صـاحبٍ أو طالـبٍ قتيـلِ ... والـدهر لا يقنـع بالبـديل

وإنّـما الأمـر إلى الجليـل ... وكـل حـيٍّ سـالكٌ سـبيل

فأعادها مرّتين أو ثلاثًا حتى فهمتها وعرفت ما أراد، فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت، وعلمت أنّ البلاء قد نزل.

وأما عمّتي، فإنّها سمعت ما سمعتُ، وهي امرأة ومن شأن النساء الرقّة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها، وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه، فقالت: "واثُكْلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت أمي فاطمة، وأبي عليّ، وأخي الحسن عليهم السلام، يا خليفة الماضي و ثِمال الباقي!" فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال لها: "يا أُخَيّة، لا يذهبنّ بحِلمك الشيطان". وترقرقت عيناه بالدموع، وقال: "لو تُرك القَطا لنام". فقالت: "يا ويلتاه! أفتغتصب نفسك اغتصابا؟!" فذاك أقرح لقلبي، وأشدّ على نفسي، ثم لطمت

وجهها، وهوت إلى جيبها فشقّته، وخرّت مغشيًّا عليها ، فقام إليها الحسين عليه السلام، فصبّ على وجهها الماء، وقال لها:

"أختاه، اتّقي الله، وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقَون، وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعيدهم، وهو فرد وحده. جدّي خير منّي، وأمّي خير منّي، وأخي خير منّي، ولي ولكلّ مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة".

فعزّاها وقال: "يا أخيّة، إنّي أقسمت عليكِ، فأبرّي قسمي، لا تشقّي عليّ جيبًا، ولا تخمشي عليّ وجهًا، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا هلكت". ثم جاء بها حتى أجلسها عندي، ثم خرج إلى أصحابه، فأمرهم أن يقرّب بعضهم بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت، فيقبل القوم من وجه واحد، والبيوت من ورائهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم قد حفّت بهم إلّا الوجه الذي يأتيهم منه عدوّهم، ورجع عليه السلام إلى مكانه يُصلّي ويستغفر ويتضرّع، وقام أصحابه كذلك يُصلّون ويدعون ويستغفرون.

وأما الملهوف فقال: "ولمّا رأى الحسين عليه السلام حرص القوم على تعجيل القتال، وقلّة انتفاعهم بمواعظ الفعال والمقال، قال لأخيه العباس عليه السلام: "إذا استطعت أن تصرفهم عنّا في هذا اليوم فافعل، لعلّنا نُصلّي لربّنا في هذه الليلة، فإنّه يعلم أنّي أحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه".

قال: "فسألهم العباس ذلك، فتوقف عمر بن سعد، فقال له عمر بن الحجاج الزبيري: 'والله، لو أنهم من الترك والديلم، وسألونا مثل ذلك لأجبناهم، فكيف وهم آل محمد صلى الله عليه وآله؟!'، فأجابوهم إلى ذلك، فكان لهم في تلك الليلة دوي كدوي النحل من الصلاة والتلاوة".

قال: "وجلس الحسين عليه السلام فرقد، ثم استيقظ، وقال: 'يا أختاه، إني رأيت الساعة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبي عليا، وأمي فاطمة، وأخي الحسن، وهم يقولون: إنك يا حسين رائح إلينا عن قريب'".

قال: "فلطمت زينب وجهها وصاحت، فقال لها الحسين عليه السلام: 'مهلا، لا تشمتي القوم بنا'".(١٧٢)

زهدها في الدنيا وقناعتها:

الزهد في الشيء خلاف الرغبة فيه، أي تركه، فهو زائل.

قال الصدوق رحمه الله في معاني الأخبار: الزاهد من يحب ما يحب خالقه، ويكره ما يكرهه خالقه، ويخرج من حلال الدنيا، ولا يلتفت إلى حرامها. وقال بعض الأعلام: الزهد يحصل بترك أشياء ثلاثة: ترك الزينة، وترك الهوى، وترك الدنيا، فالزاي علامة الأول، والهاء علامة الثاني، والدال علامة الثالث.

والقناعة: الرضا بالمقسوم، فهي تلازم الزهد دائما، أو هما واحد بلسان الأخبار. والزهد من أعلى مقامات السالكين، ومن أظهر صفات الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، به ينال الإنسان الدرجات الرفيعة.

فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم، وهدى بغير هداية، فليزهد في الدنيا» (١٧٣).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة في قلبه، فأنطق بها لسانه، وعرف داء الدنيا ودواءها، وأخرجه منها سالما إلى دار السلام».

ومن الصفات الكريمة التي خص الله بها المخلصين من عباده، وجعلها سببا للتقرب إلى حوزة قدسه، ولذلك كان نبينا الهادي والأئمة المعصومون من أهل بيته على جانب عظيم من هذه الصفة الحميدة.

أما النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أتاه جبرائيل عليه السلام بمفاتيح كنوز الدنيا، وقال: خذها، ولا ينقص من حظك عند ربك شيئا. فردها إليه، ورفع رأسه إلى السماء، فقال: «لا يا رب، ولكن أجوع يوما وأشبع يوما، فأما اليوم الذي أجوع فيه، فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه، فأحمدك وأثني عليك».

وبلغ من زهده صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يشد حجر المجاعة على بطنه.

وأما أمير المؤمنين عليه السلام، فكان، وهو خليفة المسلمين، يرقع مدرعته عند الخياط، حتى أُحصي فيها سبعون رقعة، وقد قال عليه السلام: "والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: أعزب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى".

ودخل عليه سويد بن غفلة بعدما بويع في الخلافة، فوجده جالسًا على حصير صغير، ليس في البيت غيره، فقال: يا أمير المؤمنين، بيدك بيت المال، ولا أرى في بيتك شيئًا!

فقال: "يا ابن غفلة، إن اللبيب لا يتأثث في دار النقلة، ولنا دار أمن، نقلنا إليها خير متاعنا، وإنّا عن قليل إليها صائرون".

وأما الزهراء عليها السلام، فكان فراشها حصيرًا من سعف النخيل، وجلد شاة، وكانت تلبس الكساء من صوف الإبل، وتطحن بيدها الشعير وتخبز.

هكذا كان زهد الذرية الطاهرة، وأما زينب عليها السلام، فقد كانت في بيت زوجها عبد الله بن جعفر الجواد، وهو من عُلم في ثروته ويساره وكثرة أمواله وخدمه وحشمه يوم ذاك، وكانت تخدمها العبيد والإماء والأحرار، ويطوف حول بيتها الهلاك من ذوي الحوائج

وطالبي الاستجداء. وكان بيتها الرفيع وحرمها المنيع لا يضاهيه في العزّ والشرف وبعد الصيت إلا بيوت الخلفاء والملوك.

فتركت ذلك كله لوجه الله، وانقطعت عن علائق الدنيا بأسرها في سبيل الله، وأعرضت عن زهرة الحياة من المال والبيت والزوج والولد والخدم والحشم، وصحبت أخاها الحسين عليه السلام، ناصرة لدين الله، وباذلة للنفس والنفيس لإمامها ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مع علمها بجميع ما يجري عليها من المصائب والنوايا، كما سمعتَه في حديث أم أيمن، مؤثرة الآخرة على الدنيا، ﴿ولدار الآخرة خير وأبقى﴾.

ومن زهدها في الدنيا وعدم ركونها إلى نعيمها ما رواه البكري وغيره: أن يزيد بن معاوية لعنه الله، لما عزم على إرجاع سبايا النبوة من الشام إلى المدينة، بعد أن أحس بغضب الرأي العام عليه في قتله الحسين عليه السلام وسبيِه بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يُطاف بهن من بلد إلى بلد، خاف عاقبة أمره، وأظهر أن هذه الأعمال لم تكن برضىً منه، وصار يلعن عبيد الله بن زياد على رؤوس الأشهاد.

ومن جملة أعماله التي كان يراها بزعمِه تُبرئ أفعاله، أنه صبّ الأموال العظيمة، وأحضر أهل بيت النبوة عليهم السلام، وقال: يا أم كلثوم، خذي هذه الأموال عوضًا عن الحسين، واحتسبي كأنه قد مات!

فقالت له: "يا يزيد، تقتل أخي وتُعطيني المال؟! والله لا كان ذلك أبدًا

وخرجت زينب عليها السلام مع أهل بيتها، وقد ردّ عليهن بعض ما كان أُخذ منهن، وفي ذلك مغزل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومقنعتها وقلادتها وقميصها عليها السلام. وهذه الرواية رُويت عن أبي مخنف أيضًا بتغيير يسير.

ومن زهدها ما روي عن السجاد عليه السلام: "أنها صلوات الله عليها ما ادخرت شيئًا من يومها لغدها أبدًا".

وروى المجلسي وغيره: أن الرسول الذي ساير أهل البيت في طريقهم من الشام إلى المدينة كان قد أحسن صحبتَه لهم، ولما قرُبوا من المدينة، قالت فاطمة بنت أمير المؤمنين عليه السلام لأختها زينب عليها السلام: "قد وجب علينا حق لهذا لحسن صحبتِه لنا، فهل لك أن تُصليه؟" قالت: "والله ما لنا ما نصله به، إلا أن نعطيه حلينا".

قالت فاطمة: "فأخذت سوارَيّ ودِملجي، وسوار أختي ودملجها، فبعثنا به إليه، واعتذرنا من قلته، وقلنا: هذا بعض جزائك لحسن صحبتك إيانا".

فقال: "لو كان الذي صنعتُ للدنيا، كان في دون هذا رضاي، ولكن والله ما فعلتُه إلا لله، ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم".

ومن هذه القصة يعرف المتأمل ما تلبّس به أهل البيت عليهم السلام من الزهد الفطري الذي لازمهم؛ لأن تلك الحلي التي أكرمت بها زينب وأختها هذا الرجل، هو جميع ما كان لهما من متاع الدنيا، وذلك لكونهما لم تحصلا على غيرها من أموالهما المنهوبة يوم الطف، وهذا نهاية الكرم وغاية الزهد (١٧٤).

شرفها ومجدها عليها السلام:

الشرف في اللغة هو العلوّ، وشرف شرافة: أي علا في دينٍ أو دنيا، فهو شريف أي ذو شرف، والشرف في النسب اتصاله بعظيمٍ من العظماء، وأظهر أفراد هذا النوع هم الذرّية الطاهرة من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

والمجد لغةً يُطلق على الشرف الواسع، ويُطلق على الكرم والعزّ والجاه، والمجد المؤصّل هو الشرف المؤصّل. يقال: تأصّل الشيء، أي تعاظم وثبت، وعن الشيخ أبي علي: المجد هو العلوّ والكمال والرفعة، والتمجيد: أن يُنسب الإنسان إلى المجد كما يُنسب إلى الشرف في الباء أو إلى عمله الشريف، فهو التشريف والتعظيم.

فإذا سمعتَ هذا فاستمع لما يوحى إليك، قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلّ بني أمّ ينتمون إلى عصبتَهم إلّا ولد فاطمة، فأنا أبوهم وعصبتهم» (١٧٥).

وقد رُويَ الحديث بالإسناد إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام، عن فاطمة الكبرى عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورواه الطبري وغيره بأسانيدهم المختلفة كما في الشرف المؤيد للنبهاني (١٧٦)، عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنّ الله جعل ذريّة كلّ نبيٍّ في صلبه، وأنّ الله تعالى جعل ذريّتي في صلب عليّ بن أبي طالب عليه السلام». والرّوايات بهذا المعنى كثيرة.

وهذا الشرف الحاصل لزينب عليها السلام شرفٌ عالٍ، فإذا ضممنا إلى ذلك أنّ أباها عليّ المرتضى، وأمّها فاطمة الزهراء، وجدّتها خديجة الكبرى، وعمّها جعفر الطيار في الجنة، وعمّتها أمّ هانئ بنت أبي طالب، وأخوها سيّد شباب أهل الجنّة الحسين بن عليّ عليه السلام، فماذا يكون هذا الشرف؟ وإلى أين ينتهي شأنه ويبلغ مداه؟

الجنّة أخوالها وخالاتها أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فماذا يكون هذا الشرف وإلى أين ينتهي شأنه ويبلغ مداه؟ وإذا ضممنا إلى ذلك علمَها، وفضلَها، وتقاها، وكمالَها، وزهدَها، وورعها، وكثرة عبادتها، ومعرفتها بالله تعالى، كان شرفها شرفا خاصّا بها وبأمثالها من أهل بيتها، ومجدها مجدا لا يليق إلّا بها.

وممّا زاد في شرفها ومجدها أنَّ الخمسة الطاهرة أهل العباء عليهم السلام كانوا يحبّونها حبًّا شديدًا.

وحدث يحيى المازني، قال: كنت في جوار أمير المؤمنين في المدينة، مدة فريدة بالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فلا والله ما رأيت لها شخصا ولا سمعت لها صوتا، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تخرج

ليلا، والحسن عن يمينها، والحسين عن شمالها، وأمير المؤمنين عليهم السلام أمامهم، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأخمد ضوء القناديل.

فسأله الحسن عليه السلام مرة عن ذلك، فقال عليه السلام: أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب. وورد عن بعض المطلعين أن الحسن عليه السلام لما وضع الطشت بين يديه وصار يقذف كبده، سمع بأن أخته زينب تريد الدخول عليه، فأمر وهو في تلك الحالة برفع الطشت، إشفاقا عليها. وجاء في بعض الأخبار أن الحسين عليه السلام كان إذا زارته زينب عليها السلام يقوم إجلالا لها، وكان يجلسها في مكانه عليه السلام، وهذه منزلة عظيمة لزينب عليها السلام لدى أخيها الحسين عليه السلام، كما أنها كانت أمينة أبيها على الهدايا الإلهية (١٧٧).

يقول العلّامة الجزائري في كتابه الخصائص الزينبيّة:

إنّ السيدةَ زينب عليها السلام منذ ولادتها، وفي طوالِ أيام رضاعتها، كانت – وبصورة محسوسة – في المهدِ ساكنة هادئة ما دام أخوها الإمامُ الحسين عليه السلام عندها، أو بمنظرٍ منها ومسمع، فإذا غاب شخصُه عن عينها، وحُجب صوتُه عن سمعِها، صرخت وبكت، فإذا رأته أو سمعت صوتَه سكتت وقرّت وفرحت وسرّت، وكان ذلك ملحوظًا منها ومشهورًا، حتى أنّ أمَّها فاطمةَ الزهراء عليها السلام قصّتْ ذلك على رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحكَتْ له شدّةَ العلاقة بينَ هذه الأختِ وأخيها. (١٧٩)

فلمّا سمع رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك تأثّر كثيرًا، واغرورقت عيناه بالدموع، وتنفس الصعداء، وقال: «يا نور عيني، ابنتي هذه سترافق الحسين عليه السلام إلى كربلاء، وستشاركُه المصائبَ والبلايا» (١٨٠).

وفي كتاب السيدة رقيّة لسماحةِ الشيخ علي الربّاني، فيه رواية يقول: «...ذهبت لزيارة آية الله العظمى السيّد شهابِ الدينِ المرعشي قدّس سرّه، فدار الحديث حول أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، وإذا بآية الله المرعشي يقول:

عندما ولدت السيدة زينب عليها السلام، أعطتها الصِّدّيقةُ الزهراء عليها السلام إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، والإمامِ عليٍّ والحسن عليهما السلام، وكانت السيدة زينب عليها السلام مطبقة عينيها، ولم تفتحهما في وجه أحدٍ، إلّا حينما أخذها أخوها إلى سيّد الشهداءِ عليه السلام، ففتحتْ عينيها في وجهه المبارك.

وأضاف سماحته قدّس سرّه، فقال: وفي مجلسِ يزيد – لعنه الله – كان الرأس الشريف ينظر إلى جميعِ الأسرى وهو على الرمح الطويل، إلّا أنّه نظر حال أُخته العقيلة عليها السلام، فأطبق جفنيه وجرت دموعه، وكأنّه عليه السلام يقول لها: «أُختي زينب، لقد حفظت لي عيالي، فجزاكِ الله خيرا، ولا تزيديني خجلًا فوقَ خجلي» (١٨١).

هكذا عاشتِ السيدة زينب عليها السلام مع أخيها الحسين عليه السلام، فهي لم تفارِقه منذ الطفولة، وإلى يوم الفاجعة الأليمة، وبعد الفاجعةِ كانت صورةُ الحسين عليه السلام لا تفارق عينَها وروحَها (١٨٢).

مَراقِدُ أهلِ البيت عليهم السَّلام في الشام:

تُفيد الدلائلُ الكثيرة أنَّ القبر الموجود في الجنوبِ الشرقي من العاصمةِ السُّوريّة، والذي عُمِّر في السّنواتِ الأخيرة وأُعيدت توسعتُه من جديد، هو قبر عقيلة الهاشميّين، السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام.

إلّا أنّ البعض من الأعلام ذهبوا إلى أنَّ القبر الموجود في الغوطة هو قبر أُم كلثوم، كما ذهب البعضُ الآخر إلى أنَّه قبر السيدة زينب عليها السَّلام. ولكي يتّضح المطلب، فإنَّ أقوال المؤرّخين حول القبر الموجود في سوريا اليوم هي:

(١) قبر السيدة أُم كلثوم عليها السَّلام

(٢) قبر السيدة زينب، وكنيتها أم كلثوم، وأضافوا بأنَّها بنت الزهراء عليها السَّلام

(٣) قبر السيدة زينب الصغرى عليها السلام، تكنى بأُم كُلثوم، زوجةُ محمّد بن عقيل، وكانت أُمُّها جاريَة

(٤) ذهب عدد من الشّيعة والسنّة إلى أنَّ القبر هو للسيّدة زينب الكبرى بنتِ الإمام علي عليه السَّلام، والدتها الصِّدِّيقة فاطمة عليها أفضل الصّلاة والسَّلام

ويمكن الجمع بين القول الأوّل والثّاني والرّابع، ومع الالتفات إلى أنَّ القول الثّالث لا دليل تاريخيًّا مُعتبَرًا له، فيكونُ القبرُ للسيّدة زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السَّلام والصِّدِّيقةِ الزَّهراء عليها السَّلام.

أمّا كيف جاءت هذه السيدة الجليلة إلى الشّام ولماذا؟ وأيُّهما أصحّ؟ أنّها سافرت إلى سوريا مع زوجِها عبدِ الله بنِ جعفر في إحدى السّنين المجدية؟ أم أنّها هاجرت من المدينة أيّام واقعة الحرَّة الأليمة، عندما أباحَ يزيد اللّعين المدينةَ المنوّرة؟

هذا – وللأسف الشديد – ما لم يتطرّق إليه التّاريخ.

نعم، كتب بعض المتأخرين حول سفر العقيلة، إلا أنهم لم يعتمدوا في ذلك على مصادر تاريخية.

فقد نقل الحافظ شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي (المتوفى سنة ٩٥٢ هـ) ذكراً في كتابه حول حياة السيدة زينب عليها السلام أنها سافرت إلى الشام أيام واقعة الحرة سنة ٦٢٠ هـ.

أما العلامة الأميني قدس سره، فقد نقل عن كتاب تحية أهل القبور بالمأثور أنها عليها السلام سافرت في عهد عبد الملك بن مروان، سنة القحط، ليتفقد عبد الله بن جعفر مزرعته التي في الشام، فماتت العقيلة ودفنت في ذلك المكان.

وكتب اعتماد الدولة في كتابه خبيرات الحسان حول ذلك، فقال:

«أما قبر السيدة زينب عليها السلام، فأصح الروايات أنه في إحدى قرى الشام. فلما أصابت المجاعة أهل المدينة، أخذ عبد الله بن جعفر أهله إلى الشام، وفي أثناء توقفه في إحدى القرى – والتي قبر السيدة موجود فيها اليوم – مرضت العقيلة وماتت، ودفنت في نفس القرية» (١٨٣).

الرؤيا العجيبة:

نقل مؤلف (طراز الذهب) فقال: في أواخر عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاءته العقيلة زينب عليها السلام وقالت: يا جداه، رأيت في الرؤيا عاصفة شديدة جعلت الدنيا ظلماء، ومن شدة العاصفة لذت بشجرة كبيرة، وفجأة إذا بالريح تقلع الغصن الذي كنت متمسكة به، فلذت بغصن آخر، فاقتلع هو الآخر، فلذت بالثالث ثم الرابع، فاستيقظت من النوم فزعة مرعوبة، فالتفت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودموعه الشريفة تجري على محاسنه، وقال: "إن الشجرة الكبيرة أنا، وعما قليل أفارقكم، والغصن الأول هو أمك فاطمة عليها السلام، والغصن الثاني هو أبوك علي عليه السلام، والغصنان الآخران هما الحسان، وبفقدهم تظلم الدنيا." (١٨٤)

بكاء الكون لمصاب السيدة زينب عليها السَّلام:

نقل العالِم الجليل السيّد أسد الله الأصفهاني المقيم في كربلاء سنة ألفٍ وثلاثمائة وتسع عشرة هجريّة، لمؤلف كتاب (الكبريت الأحمر)، فقال: إن الإمام الحجّة بن الحسن عليه السَّلام قال لي في الرؤيا: "إنَّ أهل السماء يجتمعون يوم وفاة عمّتي زينب عليها السَّلام، ويقرؤون خطبتها الغرّاء في الكوفة، ويَبكون لمُصابها الجَلَل."(١٨٥)

نقل العالِم الجليل المُلا علي الخياباني في كتاب (وقائع الأيام) في تتمّة محرَّم الحرام قصةً طويلة نذكر منها ما يتعلّق بالعقيلة زينب عليها السَّلام، وهو يقول: أحد الثقات شاهد الإمام الحجة عجَّل الله فرَجَه الشريف في عالم الرؤيا، وهو في غاية الحزن، فتقدّمت نحوه خُطوات، وسلّمت عليه، وسألتُه عن حاله، فقال: "اعلم أنَّه منذ اليوم الذي تُوفّيت عمّتي زينب عليها السَّلام، وملائكة السماء تعقد مجلسًا يوم وفاتها في السماء، يقرؤون خطبتها في سوق الكوفة ويَبكون، إلى أن أذهب إليهم وأُسكتَهم، واليوم هو وفاة عمّتي زينب عليها السَّلام، وقد رجعتُ للتَّو من ذلك المجلس."

نعم، يحق للملائكة أن تَبكي لفقد هذه السيّدة الجليلة، فلو لم يكن منها سوى السنة والنصف التي عاشتها بعد مَقتل سيّد الشهداء عليه السَّلام، فغيَّرت من خلالها التاريخ، لَكَفى.

بل إنَّ يزيد الطاغية، قبل أن تدخل العقيلة زينب عليها السَّلام الشام أسيرة، كان فرحا مسرورًا بقتل سيّد الشهداء عليه السَّلام، ولكن بعد أن دخلتْ عليه، قَلبتْ نهاره إلى ليل، وجعلته يجرُّ آهات الحزن والحسرة طيلة عمره المتبقي، إلى أن فَطِس وذهب بعَار الدنيا وعذاب الآخرة، ألا فلعنةُ الله عليه وعلى أبيه وعلى بَني أُميّة قاطبة، ولعنةُ الله على كل مَن مَلّكهم رقاب المسلمين.(١٨٦)

خصائص السيّدة زينب عليها السَّلام:

يَمتاز العظماء من الرجال، وكذلك العظيمات من النِّساء، على مَن سواهم بميزاتٍ خصّهم الله تعالى بها ومنحهم إيّاها دون سائر الناس، وهذه الميّزات تكون علامةً لهم من الله تعالى، وآيةً على تفوّقهم ورفعتهم، وهي تلازمهم حتى قبل حملهم وولادتهم.

وزينب الكبرى عليها السَّلام هي إحدى تلك العظيمات، ولغرض إتمام الفائدة أذكر تلك الخصائص من خلال الرِّوايات على شكل نقاط، وأترك التَّفاصيل لمن يرغب، ومن هذه الخصائص:

١) في مميزات وِلادتها عليها السَّلام

٢) في تسميتها وكُناها

٣) في كونها عليها السَّلام صِدِّيقة

٤) في عِصمتها عليها السَّلام الصُّغرى

٥) في أنّها عليها السَّلام من أولياء الله تعالى

٦) في أنّها عليها السَّلام من الرَّاضين بقضاء الله تعالى

٧) في أنّها عليها السَّلام أمينةُ الله تعالى

٨) في أنّها عليها السَّلام عالمة غير مُعلّمة

٩) في أنّها عليها السَّلام محبوبةُ المصطفى

١٠) في كونها عليها السَّلام نائبةُ الزهراء عليها السَّلام

١١) في أنّها عليها السَّلام شريكةُ الحسين عليه السَّلام

١٢) في كونها عليها السَّلام الزاهدة

١٣) في أنّها عليها السَّلام من ألقابها العاقلة

١٤) في أنّها عليها السَّلام الموثَّقة

١٥) في أنّها عليها السَّلام كعبةُ الرزايا

١٦) في أنّها عليها السَّلام العظيمةُ البليغة

١٧) في أنّها عليها السَّلام الشُّجاعة

١٨) في أنّها عليها السَّلام العابدة

١٩) في أنّها عليها السَّلام الباكية

٢٠) في أنّها عليها السَّلام الكاملةُ الرشيدة

٢١) في أنّها عليها السَّلام كانت نورًا في الأصلاب الشامخة

٢٢) في أنّها عليها السَّلام المجاهدةُ المُحتسبة

٢٣) في أنّها عليها السَّلام الممتحَنة الصابرة

٢٤) في أنّها عليها السَّلام كاملةُ اليقين والمعرفة

٢٥) في أنّها عليها السَّلام من أحبّاء الله وأودائه

٢٦) في أنّها عليها السَّلام ممَّن نال مقام الخائفين

٢٧) في أنّها عليها السَّلام ممَّن نال مقام الرِّضا والتَّسليم

٢٨) في أنّها عليها السَّلام من المقرّبين

٢٩) في أنّها عليها السَّلام من الصابرين

٣٠) في أنّها عليها السَّلام الأخت المُواسية

٣١) في أنّها عليها السَّلام الغيور على دين الله

٣٢) في أنّها عليها السَّلام الخالصةُ في المودّة

٣٣) في أنّها عليها السَّلام صاحبة النيابة الخالصة

٣٤) في أنّها عليها السَّلام الحافظةُ للحدود والحرمات

٣٥) في أنّها عليها السَّلام المهتمّة بحفظ الدين

٣٦) في أنّها عليها السَّلام القائمة بحفظ المعصومين

٣٧) في أنّها عليها السَّلام الآمرة بالمعروف

٣٨) في أنّها عليها السَّلام أحيت اسم كربلاء وأبقت آثارها

٣٩) في أنّها عليها السَّلام لاقت ما لاقاه الأنبياء والمرسلون

٤٠) في أنّها عليها السَّلام بطلة كربلاء (١٨٧)

متفرّقات:

(١) روى الشيخ الطوسي بإسناده عن السيدة زينب عليها السلام قالت: صلى أبي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الفجر، ثم أقبل علي عليه السلام، فقال: هل عندك طعام؟ فقال: لم آكل منذ ثلاثة أيام طعامًا. فقال رسول الله: امض بنا إلى ابنتي فاطمة. فدخلا عليها وهي تتلوى من الجوع، وأبناها معها. فقال رسول الله: يا فاطمة، فداك أبوك، هل عندك شيء من الطعام؟ فاستحيت فاطمة أن تقول: لا، وقامت واستقبلت القبلة لتصلي ركعتين، فأحست بحسيس، فالتفتت، وإذا بصحيفة ملأى ثريدًا ولحمًا، فأتت بها، ووضعتها بين يدي أبيها، فدعا رسول الله بعلي والحسن والحسين، ونظر علي إلى فاطمة متعجبًا، وقال: يا بنت رسول الله، أنى لك هذا؟ فقالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. (١٨٨)

(٢) وجاء في التاريخ أن السيدة زينب عليها السلام كانت جالسة ذات يوم، وعندها أخواها الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام، وهما يتحدثان في بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت السيدة زينب عليها السلام: سمعتكما تقولان: إن رسول الله قال: «الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس»، ثم استمرت السيدة زينب عليها السلام تكمل الحديث، وتقول: «من تركها – أي

من ترك الشبهات – صلح له أمر دينه، وصلحت له مروءته وعرضه، ومن تلبس بها، ووقع فيها، وأتبعها، كان كمن رعى غنمه قرب الحمى، ومن رعى ماشيته قرب الحمى (١٨٩)، نازعته نفسه أن يرعاها في الحمى. ألا وإن لكل ملك حمى، وإن حمى الله محارمه». (١٩٠)

(٣) ثم روت السيدة زينب عليها السلام حديثًا آخر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: «ألا وإن في الجسد مضغة (١٩١)، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». (١٩٢)

ثم قالت السيدة زينب عليها السلام: أما سمعتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي تأدب بأدب الله عز وجل، يقول: «أدبني ربي فأحسن تأديبي». يقول: الحلال ما أحله الله عز وجل في القرآن الكريم، ونبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مثل البيع والشراء، وإقام الصلاة في أوقاتها، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك الكذب والنفاق والخيانة. والحرام ما حرمه الله عز وجل، وذكره في القرآن الكريم، ونبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والحرام نقيض الحلال. وأما الشبهات، فهي أمور لا يُعلم حلالها من حرامها، والمؤمن إذا لم يعلم الشيء أنه حلال أو حرام، وكان يرجو سعادة الدنيا والآخرة، فعليه ألا يتبع الشبهات، فالشبهات تجره إلى المحرمات.

فقال الإمام الحسن عليه السلام: «زادك الله كمالًا، نعم، إنه كما تقولين، إنك حقًّا من شجرة النبوة، ومن معدن الرسالة».

(٤) وروى أحمد بن جعفر بن سلمان الهاشمي، قال: كانت زينب بنت علي عليهما السلام تقول: «من أراد أن يكون الخلق شفعاءه إلى الله، فليحمده، ألم تسمع إلى قولهم: (سمع الله لمن حمده)، فخفِ الله لقدرته عليك، واستحِ منه لقربه منك». (١٩٣)

(٥) وورد عن السيدة زينب عليها السلام أنها قالت: «إن جدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم شرع لنا حقوقًا، لأزواجنا على الرجال حقوقًا محفوظة». (١٩٤)

(٦) وورد عنها عليها السلام أيضًا، قالت: يقول جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت». (١٩٥)

(٧) روت السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام عن عمتها زينب الكبرى عليها السلام أنها قالت: «رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعة، فلم تزل راكعة ساجدة حتى عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسميهم، وتكثر الدعاء، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقال لها أخي الحسين ذات يوم: يا أماه، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم الدار.».

(٨) وروي عن السيدة زينب عليها السلام أيضًا أنها قالت: «كان آخر عهد أبي إلى أخويّ عليهما السلام أنه قال لهما: يا بنيّ، إذا أنا مت فغسلاني، ثم نشفاني بالبردة التي نشف بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة، وحنطاني، وسجياني على سريري، ثم انظرا، حتى إذا ارتفع لكما، مقدم السرير، فاحملا مؤخره».

قالت: «فخرجت أشيع جنازة أبي، حتى إذا كنا بظهر الكوفة، وقدمنا بالظهر الغربي، رُكز المقدم، فوضعنا المؤخر، ثم برز الحسن بالبردة التي نشف بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفاطمة، وأمير المؤمنين عليهما السلام، وأخذ المعول، فضرب ضربة، فانشق القبر عن ضريح (١٩٦) مكتوب عليه سطران بالسريانية: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا قبر حفره نوح النبي لعلي وصي محمد، قبل الطوفان بسبعمائة عام». (١٩٧)

(٩) روت السيدة زينب عليها السلام أيضًا عن أمها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنها قالت: قال رسول الله لعلي عليه السلام: «أما إنك يا علي وشيعتك في الجنة». (١٩٨)

(١٠) وروى الإمام زين العابدين عليه السلام عن عمته زينب عليها السلام، عن السيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام، أنها قالت: «دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ولادة ابني الحسين، فناولته إياه، ثم قال: خذيه يا فاطمة، فإنه إمام ابن إمام، أبو الأئمة التسعة من صلبه، أئمة أبرار، والتاسع قائمهم». (١٩٩)

(١١) لقد روي عن السيدة حكيمة بنت الإمام محمد الجواد عليه السلام أنها قالت: «إن الحسين بن علي عليهما السلام أوصى إلى أخته زينب بنت علي عليهما السلام في الظاهر، وكان ما يخرج من علي بن الحسين من علم يُنسب إلى زينب، سترًا على علي بن الحسين عليه السلام» (٢٠٠).

الهوامش:

(١) الوسائل ١٧٢٤٢ وتاريخ بغداد ١١١٠٤، جاء الحديث فيه عن ابن عبّاس قال: رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها، فمَن أراد الحكمةَ فليأتِ من الباب»، ذكر ذلك في المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٣٦.

(٢) الخميس ٢٩٥، مجلّةٌ يصدرها إعلامُ العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

(٣) زينبُ الكبرى للعلامة الشّيخ جعفر النَّقدي رضوانُ الله عليه، المتوفّى سنة ١٣٧٠ هجريّة، باب اسمِها وتاريخ ولادتِها.

(٤) لمعرفةِ تفاصيلِ ذلك، مراجعةُ كتاب زينب الكبرى للنقدي ص١٧، وكتاب رياحين الشّريعة للشيخ ذبيح الله محلاتي ج٢ ص٣٣.

(٥) كتاب بطلة كربلاء لعائشة بنت الشاطئ، ص١٦.

(٦) من كتاب زينب الكبرى عليها السّلام من المهدِ إلى اللّحد، السّيّد محمّد كاظم القزويني، بتصرّف.

(٧) زينبُ الكبرى، الشّيخ جعفر النّقدي، بتصرّف، والكفيل ٣٦٠، مجلّةٌ يصدرها إعلام العتبة العبّاسيّة المقدّسة، بتصرّف.

(٨) زينبُ الكبرى، الشّيخ جعفر النّقدي، مصدر سابق، بتصرّف.

(٩) زينب الكبرى عليها السّلام من المهد إلى اللّحد، السيّد القزويني رحمه الله.

(١٠) القاموس المحيط، الفيروزآبادي.

(١١) لسان العرب.

(١٢) لاروس.

(١٣) قال الرّاغبُ الأصفهاني في معناه: «العفَّة حصول حالة للنّفس تمنعُ بها عن غلبةِ الشَّهوة»، الرّاغب الأصفهاني، معجم مفردات القرآن، ص٣٥٠.

(١٤) السيّدة زينب عليها السّلام رائدةُ الجهاد في الإسلام، للشّيخ القُرشي، ص٣، بتصرّف.

(١٥) المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر، مجموعةٌ من الباحثين، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ص٨٤.

(١٦) إشارة إلى الآيةِ القرآنيّة الكريمة: (وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليعبدونِ) الذّاريات: ٥٦، ومن تفاسير «ليعبدون»: أي ليعرفونِ، لأنّ أوّل الدّين معرفتُه، وبالمعرفة يتكاملُ الإنسان.

(١٧) مراده من خلافة الأسماء والصّفات هو التخلّقُ بأخلاق الله تعالى، وعكس صفاته وأسمائه، فيكون الإنسان هو المخلوق الوحيدَ الذي يحملُ كلَّ صفاتِ الله تعالى، فاستحقَّ أن يكونَ خليفتَه في ذلك.

(١٨) مرادُه من خلافةِ الأسماءِ والصّفات هو التخلّقُ بأخلاقِ الله تعالى، كما ورد في الحديثِ الدّاعي إلى التخلّقِ بأخلاقِ الله، عكسِ صفاته وأسمائه، فيكون الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يحمل كل صفات الله تعالى، فاستحقَّ أن يكون خليفته في ذلك.

(١٩) إشارة إلى الحديث الشّريف عن أبي جعفر عليه السّلام: «تكلّموا في خلق الله، ولا تكلّموا في الله، فإنّ الكلام في الله لا يزيد صاحبه إلّا تحيُّرًا»، الكافي، ج١، باب التّوحيد.

(٢٠) إشارة إلى الآياتِ القرآنيّة التي تُصرّح بأنّ كلَّ ما في الوجودِ يُسبّحُ لله تعالى: (يُسبّحُ له السّماواتُ السّبعُ والأرضُ ومَن فيهنَّ، وإنْ مِن شيءٍ إلّا يُسبّحُ بحمدِه، ولكن لا تفقهون تسبيحَهم، إنّه كان حليمًا غفورًا) الإسراء: ٤٤.

(٢١) سُمّي بجامعِ الجمع، لأنّه جامع لجميع الصّفات الإلهيّة، الأسماء الحسنى.

(٢٢) هناك ثلاثة أقوال في المسألة: الأشاعرةُ قالوا بأنّه تعالى فاعلٌ لكلِّ شيءٍ، حتّى القبيح، ويُسألُ عمّا يفعل، وهم يُسألون! فتعالى الله عن ذلك.

المعتزلة فرارًا من هذا القول قالوا: القبيح فعل صادر من الإنسان، وليس لله تعالى فيه أيُّ دخل، فعزلوا اللهَ تعالى عن سلطانه، فلزم في ذلك النّقص، والنّقص قبيح.

القولُ الصّحيح: أنّ اللهَ تعالى قادرٌ على فعلِ القبيح، ولكنْ لا يفعلُه، لأنّه لا يليقُ بحكمته. فإذا انتفى الدّاعي لفعلِ القبيح -لعدمِ الجهل، أو الحاجة، أو العبث، أو الجبر- امتنع وقوعُه.

(٢٣) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢٤) إشارة إلى الآية القرآنيّة الكريمة: (قال سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء، قال لا عاصمَ اليوم من أمر الله إلّا من رحم، وحال بينهما الموج، فكان من المغرقين) هود: ٤٣.

(٢٥) الصّواعق المحرقة لابن حجر، ص١٣٥ * المستدرك للحاكم النّيسابوري، ج٣ * المراجعات للإمام شرف الدّين، ١٧.

(٢٦) روى البخاري عن جابر بن سَمُرَة قال: سمعت رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «يكون اثنا عشر أميرًا»، فقال كلمةً لم أسمعها، فقال أبي : إنّه قال : كلّهم من قريش. صحيح البخاري ٩٨١، وفي صحيح مسلم: «لا يزال الدِّين قائما حتى تقام السّاعة، أو يكون اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش». صحيح مسلم ٦/ ٤.

(٢٧) مفاتيح الجِنان، دعاء النّدبة، ص ٦٠٦.

(٢٨) مفاتيح الجِنان، ص ٩٦، زيارة فاطمة الزّهراء عليها السّلام يوم الأحد.

(٢٩) مراده من ترك الأولى: للإنسان أن يفعل كذا، لأنّه في مصلحتِه ولائق بحاله، لكنّه لو لم يفعل لا يُعدّ معصية، فيسمّى تاركًا للأولى. وتركُ ما هو أولى من غيره ليس بمعصية، إنّما هو مخالفة لأمر إرشاديّ وليس لأمر مَولويّ أي واجب.

(٣٠) في قصّةِ آدم عليه السّلام عندما أكل من الشّجرة التي نهاه الله تعالى عنها، فكان الأولى، أي الأحسن، ألّا يأكلَ منها، لكنّه خالف الأمر الإرشادي. وهذا ما ذكرته الآيات

القرآنيّة. وقصّة داوود عليه السّلام، الذي كان الأولى أن يستمع إلى أصحابِ الدّعوى على حدٍّ سواء، ولا يسمع لأحدهما ويترك الآخر، ولكنّه استمع لأحدهما دون الآخر، وهذا مذكورٌ في الآيات القرآنيّة.

(٣١) ذكر أهلُ البيت عليهم السّلام أنّ للعقلِ جنودًا، وللجهل جنودًا، وهذا مفصّل في أصول الكافي، باب العقل والجهل.

(٣٢) أمثال زينب الكبرى، الذين تربّوا في أحضان النبوّة والإمامة، كأبي الفضل العبّاس، وعليّ الأكبر، وفاطمة بنت موسى بن جعفر عليهم السّلام أجمعين.

(٣٣) معاني الأخبار، ص ١٣٢.

(٣٤) سورة السّجدة: ٢٤.

(٣٥) الكافي ١/ ٢٧٢.

(٣٦) إنّ المشاهد أو المناظر، سواء كانت رحمانيّة أو شيطانيّة، لها أثرُها على القلوب والرّوح. وكذلك يُفهم من الحديث الشريف: "انظروا إلى من يُذكّركم بالله تعالى"، وعاشروه، ليكون رفيق صلاح لقلوبكم. وأنّ النّظرة الثانية للمرأة الأجنبيّة سهم من سهام الشيطان.

(٣٧) نعم، ذُكر عن الإمام الصادق عليه السّلام: "أنّ ذنبَ الرّجل يُخرج في قلبه نقطةً سوداء، وكلّما ازداد الذّنب اتّسعت النقطة، حتى تستولي على القلب جميعَه، فيكون قلبًا محجوبًا، ومكوسًا بسواده عن الحقّ". وهناك للذّنوب آثارٌ أخرى كثيرة. للاطّلاع: مراجعة كتاب التّوبة والتّائبون على ضوء القرآن والعترة، وهو مطبوع ضمن المجلد الرّابع من موسوعته الكبرى "رسالات إسلاميّة".

(٣٨) مستدرك الوسائل، باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، الباب الثالث، الخبر السابع، عن كتاب "قصار الجُمل".

(٣٩) أي لا قياس بين المظهر المادّي وأثره، وبين المظهر المعنويّ وآثاره، لما للمظهر المعنويّ من أهميّةٍ كبيرةٍ في حياة البشر.

(٤٠) جاء في الحديث عن رفيقِ السّوء وعشرتِه، وعن رفيق الصّلاح وعشرتِه، أنّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إنّ مثل جليس السّوء كمثل نافخ الكير، فإن لم يصبك من رائحة كيره، أصابك من سواده، ومثل الجليس الصّالح كبائعِ الطّيب، فإن لم يصبك من طيبه، أصابك من رائحته».

(٤١) ورد في حقّ السيدة المعصومة أخت الإمام الرضا عليه السّلام، عن سعد الأشعري القمّي، عن الرّضا عليه السّلام قال: يا سعد، عندكم لنا قبر؟ قلت: جُعلتُ فداك، قبرُ فاطمة عليها السّلام بنت الإمام موسى بن جعفر؟ قال: بلى، مَن زارها عارفًا بحقّها فله الجنّة. فما بالك بزينب، فإنّه من الوليّ أن يكون لزائرها الجنّة إذا كان عارفًا بحقّها، كفاطمة المعصومة، إذا لم تكن أعلى وأرفع.

(٤٢) هنا الكلامُ يدور عن العلم والمعرفة، ولو أردنا أن نتجاوز هذا الهامش، لكان بالإمكان كتابة فصلٍ خاصٍّ بذلك. لكن نبيّن ذلك بقدر ما يسمح به المقام. فنقول: إنّ العلم بالمعنى الأعمّ، والعرفان المأخوذ من المعرفة، فإنّ المعرفة عبارةٌ عن إدراك الكلّيّات. وقيل: إنّ المعرفة تصوّر، والعلم تصديق. ولمثل هذا يُقال: كلّ عالمٍ عارف، وليس كلّ عارف عالمًا.

(٤٣) لا يُطلق على الله "عارف"، لأنّ المعنى أخصّ من العلم، وهو علمٌ بالشيء مفصّلاً عمّا سواه، أي علم الجزئيّات. والعِلم إحاطة بالكلّيّات والجزئيّات، والله تعالى محيطٌ بهما، لذلك نُطلق عليه عالِمًا، ولا نطلق عليه عارفًا.

(٤٤) مرادُه من الكلّي التّشكيكي، أي أنّ مفهوم المعرفة كلّيّ ينطبق على مصاديقه، وهذه المعرفة ذاتُ مراتبَ متعدّدة، وهذا مرادُه من كلمة "تشكيكي". والكلّي التّشكيكي: ما يتفاوتُ في التقدّم والتأخّر، والضّعف أو الأولويّة. ويُقابله الكلّي المتواطئ، كـ"الإنسان".

(٤٥) "طويلة وعريضة"، أي مراتب المعرفة إحداها في طول الأخرى، أي تليها ومتوقّفة عليها، فتسمّى مراتب "طويلة". وأخرى معرفة في قِبال معرفة موازية لها، فتسمّى "عريضة".

(٤٦) نهج البلاغة، قصار الكلمات، ومعناها.

(٤٧) أُسّ الكمال القابل لها، أي أنّ المعرفة هي الأساسُ الأوّل والأهمّ في كمال كلّ من له قابليّة لحمل هذه المعرفة. وهذا القيدُ لأنّ المعرفةَ مختصّةٌ بمن له إدراكٌ دون سواه.

(٤٨) مفاتيح الجِنان للمُحدّث القمّي، ص ٦١.

(٤٩) «سلمان منّا أهلَ البيت»، هذا حديثٌ مشهور عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. وأيضًا ورد في "الدّرجات الرّفيعة" عن أبي جعفر عليه السّلام، وفي "البحار" عنه أيضًا. ومراد الأئمّة وسيّدهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ سلمان منهم، أي على نهجهم وفكرهم وسلوكهم، ويطابقهم القدم بالقدم، والنّعل بالنّعل. بل ورد عن أمير المؤمنين عليه السّلام: "أنّه خلق من طينتنا، وروحه مقرونة بأرواحنا".

(٥٠) هذا حديث نبويّ مشهور، أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لأمير المؤمنين عليه السّلام: «يا عليّ، ما عرف اللهَ إلّا أنا وأنت، وما عرفني إلّا الله وأنت، وما عرفك إلّا الله وأنا». وهنا يُشار إلى معرفة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمير المؤمنين عليه السّلام لله تعالى معرفة تفوق جميعَ الخلق، ومختصّة بهما مع الأئمّة الأطهار وفاطمة الزّهراء عليهما السّلام، وأنّهم لا يعرفهم حقّ المعرفة إلّا الله تعالى، أي بالمعرفةِ الكماليّة.

(٥١) سورة مريم: ١.

(٥٢) "كهيعص"، هذه الحروف المقطّعة في سورة مريم، وأنّ كل حرف يدل على تأويل في قضيّة كربلاء، فالكاف تدل على كربلاء، والهاء على هلاكِ يزيد، والصّاد تدل على صبرِ الحسين، والعين على عطشِ الحسين عليه السّلام... إلى آخره.

(٥٣) لمعرفة هذه الكتابة على العرش، راجع كتاب السيّد علوي: "هذه هي الولاية"، المجلّد الخامس من موسوعة "رسالات إسلاميّة". وكذلك: "الإمام الحسين عليه السّلام في العرش الإلهي"، و"زينب الكبرى زينة اللّوح المحفوظ"، في المجلّد السّادس من الموسوعة.

(٥٤) قولُه: "ما خلاهنّ فضل"، أي أنّ العلوم البشريّة لها أهميّة كبرى، لكنّها تأتي في الدرجة الثّانية من حيث الأهميّة والحاجة البشريّة، بعد العلوم الإلهيّة، بحيث يصل التّكليف فيها حدَّ الوجوب العيني، حسب حاجة الأمّة الإسلاميّة وأهميّة هذه الحاجة.

(٥٥) أي أنّ أصول الدّين، التي هي العقائد، لا يجوز فيها التّقليد، بل لا بدّ من الاستدلال، والقناعة الخاصّة بذلك. إلّا أنّه يُقال في حقّ من ليس له القدرة على الاستدلال: إنّه يكفي منه حسن الظنّ بذلك عن قناعةٍ تامّة.

(٥٦) أي استدلال الرجل على أن لكل حادث محدثًا، وهذا الضرب الذي سقط على رأس السائل هو بسبب الفلاح، فكيف لا يكون لهذا الكون الحادث من محدث؟

(٥٧) البراهين كثيرة، والطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، ألا أن هناك برهانًا اسمه "برهان الحركة"، ومفاده أن لكل متحرك محركًا يحرّكه، وهكذا فغزل العجوز إن حرّكته تحرّك، وإن تركته سكن واستقر، فكيف بهذا الكون المتحرك المتغيّر يتحرك بدون محرّك؟ وهذا محال.

(٥٨) أي إن هذه العجوز أجابت بحسب فطرتها التي فطرها الله، وبدون التشبث بالدراسة والتعلّم، فإن الله تعالى فطر الناس على معرفته، كما ورد في الحديث.

(٥٩) ورد حديث مستفيض عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: «كل مولود يولد على الفطرة، حتى يأتي أبواه فيهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه».

(٦٠) الفاعلية والقابلية هذان مصطلحان فلسفيان، فيراد من الفاعلية أن الفاعل له القدرة التامة على الفعل ولا يمنعه شيء، والقابلية يراد منها أن الطرف المتلقي للفيض من قبل الفاعل له القدرة والمؤهلات لتلقي هذا الفيض، وهذا ما جاء على لسان الأستاذ عادل العلوي في كتابه "النوران الزهراء والحوراء" عليهما السلام.

(٦١) المراد من أن العلم هو الله تعالى، أي أن العلم صفة ذاتية من صفات الله تعالى، وبما أن صفاته عين ذاته، فصار تعالى علمًا كلّه، في عين هو قدرة، وفي عين هو حي، وهكذا، فيصح أن نقول: "العلم هو الله تعالى" بعيدًا عن الإلحاد، وإنما المراد بعينه.

(٦٢) إن الله تعالى هو الأول، أي لم يسبق بشيء أو بالعدم أو بالزمن، والآخر، أي لم يُلحق بالغير أو العدم، والظاهر، أي المعروف والمتجلّي لخلقه في آثاره وعلاماته، والباطن، أي لا يُحاط بكنهه وبحقيقته.

(٦٣) ورد في الحديث الشريف في "بحار الأنوار" ١٢٢٥: «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء»؛ أي بكرامة زينب عليها السلام يُلهمك الله تعالى حلًّا لهذه المسألة.

(٦٤) "أصول الكافي"، الجزء الثاني، باب الأخلاق.

(٦٥) ليس للشيطان حكومة على أحد، بل ليس له إلّا الوسوسة والتزيين والتسويل، فهو لا يسلب الاختيار عن أحد، ولكن يُضعف النفوس فتقع في شراكه، ليس إلّا. والله تعالى برحمته العامة التي عمّ بها جميع مخلوقاته، حتى الشيطان، فتكون حكومته هي الحاكمة، وعلى هذا يستطيع الإنسان أن يجعل الشيطان طريقًا إلى الجنة، وذلك بمخالفته له.

(٦٦) هذا الحديث ورد في "أصول الكافي"، الجزء الثاني، في باب الأخلاق، ومراده أنّ الدنيا لا تكون جيفة بذاتها، لأن هذه الكونات هي آثار الله تعالى، وآثار الله تعالى محبوبة، فلا

يقع الذم عليها، بل المراد هو التعلق بهذه الآثار الذي يمنع من التكامل، هو المذموم، فيكون من حيث النفع لا يقع منها، لأنها جيفة، أي ميتة نتنة الرائحة، فلا يُقبل على هذا إلّا الكلاب، فعلى الإنسان أن لا ينزل إلى هذه المرتبة الحيوانية ويتكالب على الدنيا.

(٦٧) "البرهان في تفسير القرآن" للسيّد هاشم البحراني، عند تفسير الآية الكريمة.

(٦٨) ومن ذكريات الطفولة في حياة السيدة زينب عليها السلام، نقرأ في كتب التاريخ أنها سألت أباها ذات يوم، فقالت: أتحبّنا يا أبتاه؟ فقال الإمام: وكيف لا أحبكم وأنتم ثمرة فؤادي؟ فقالت: يا أبتاه إن الحب لله تعالى، والشفقة لنا. المصدر: "كتاب زينب الكبرى" للنقدي، وهو يحكي ذلك عن "كتاب مصابيح القلوب" للشيخ حسن السبزواري المعاصر للشهيد الأول رضوان الله عليه. إنّ هذا الحوار الجميل يدل على أكثر من معنى:

١- جو الحب والصفاء الذي يخيم على دار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والعلاقات الطيبة بين الوالد الرؤوف وطفلته الذكية.

٢- الحب ينقسم إلى أكثر من قسم باعتبار نوعه ومنطلقه، وكل اسم له اسم خاص به، لكن يُطلق على الجميع كلمة "الحب". فهناك حب الإنسان لله تعالى الذي خلق البشر وأنعم عليهم بأنواع النعم، وهناك حب الوالد لأطفاله الذي ينبعث من العاطفة والحنان، وقد عبّرت السيدة زينب عليها السلام عن هذا النوع بالشفقة، ويُقرأ في كتب اللغة أن الشفقة هي العطف والحنان والرأفة والحنو، إذن فهي فصيلة خاصة من الحب ينبعث من قلب الوالدين لأطفالهما.

٣- المستوى الرفيع لتفكير السيدة زينب عليها السلام، رغم كونها في السنوات الأولى من رحلة الطفولة، أجل، إنها سيدة حتى وهي طفلة.

(٦٩) "الإرشاد" للشيخ المفيد، ص ١٦٩، وذُكر أيضًا في "بحار الأنوار" للشيخ المجلسي، ج ٤١، ص ٢٠٠، باب "أخباره بالغائبات وعلمه باللغات"، نقلًا عن "كتاب الخرائج".

(٧٠) متململًا: التململ هو الاضطراب وعدم الاستقرار بسبب الهم أو الألم، وجاء في "كتاب العين" للخليل بن أحمد: "الململة أن يصير الإنسان من جزع أو حرقة كأنه يقف على جمر"، وقال الفيروزآبادي في "القاموس": "التململ: التقلب مرضًا أو غمًّا".

(٧١) أرقت معه: أي سهرت معه. الأرق: السهر.

(٧٢) "مجمع البحرين" للطريحي، وقيل: الإوز طائر يشبه البط في شكله العام، لكنه أكبر منه حجمًا وأطول عنقًا، كما في "المعجم الوسيط".

(٧٣) الغلس (بفتح اللام): ظلمة آخر الليل، كما في "القاموس" للفيروزآبادي، وقيل: ظلام آخر الليل إذا اختلط بضوء الصباح، كما في "مجمع البحرين" للطريحي.

(٧٤) الأسطوانة: العمود الذي يعتمد عليه سقف البناء، وكلمة "أسطوانة" معرّبة من اللغة الفارسية، وأصلها: "ستون" أو "أستون".

(٧٥) أزياق: جمع "زيق" بالكسر، زيق القمي.

(٧٦) اصطفت: ضربت بعضها ببعض ضربًا يُسمع منه صوت.

(٧٧) سورة النحل: ١٢٨.

(٧٨) "زينب الكبرى من المهد إلى اللحد"، للمرحوم العلامة الخطيب آية الله السيّد محمد كاظم القزويني، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف الأشرف، ص ٣٤، بتصرف.

(٧٩) الحديث مروي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ذُكر في "بحار الأنوار"، ج ٧٥، ص ٢٣٥، طُبع في لبنان عام ١٤٠٣ هجرية.

(٨٠) "معالي السبطين" للمازندراني، ج ١، المجلد التاسع.

(٨١) "ذخيرة المعاد" للشيخ زين العابدين المازندراني، و"زينب الكبرى من المهد إلى اللحد"، مصدر سابق، ص ٣٦.

(٨٢) "مناقب آل أبي طالب" لابن شهر آشوب، المتوفى سنة ٥٨٨ هجرية، ج ٢، ص ٥، فصل في أزواجه وأولاده، وذكر الشيخ المجلسي ذلك في "بحار الأنوار"، ج ٤٢، ص ٩٢، باب ١٢٠.

(٨٣) الجأش: النفس أو القلب. يقال: هو رابط الجأش، أي ثابت عند الشدائد، قوي القلب في الحروب والنزاعات.

(٨٤) أي: وكان جعفر يكنى "أبا عبد الله".

(٨٥) بلاد الحبشة هي دولة إثيوبيا المعاصرة، وعاصمتها "أديس أبابا"، وهي تقع في قارة أفريقيا.

(٨٦) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ص ١٨٩

(٨٧) أساوم، والمساومة: طلب البائع المقايضة في الثمن، وطلب المشتري التخفيض في ذلك، وقيل: هو الكلام الذي يسبق المعاملة.

(٨٨) الصفقة: ضرب اليد في البيع، وكان العرب إذا أرادوا إنهاء معاملة البيع ضرب أحدهما يده على يد صاحبه، والمعنى: اللهم بارك في صفقاته التجارية ومعاملاته.

(٨٩) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ص ١٨٩

(٩٠) الأذن: الحاجب، ويُعبر عنه حاليًا بالسكرتير أو البواب.

(٩١) مغيثه: عاقبة أمره، وفي نسخة من منقبته ما هو خاطئ عنا.

(٩٢) ثلبه: تنقصه وذكر معايبه، ومن الواضح أنه لم يكن في الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام عيب أو منقصة، لكن الأكاذيب لها دورها، والنفسيات اللئيمة القذرة تعبر عن هويتها وغوايتها، وتظهر عن طريق تصرف الإنسان وسلوكه، وكل من يدير ظهره للحق لا بد أن يستحق وجدانه.

(٩٣) غشيتهم: دخلت عليهم.

(٩٤) أي والحزن ظاهر على ملامحه.

(٩٥) الفنيق: من الإبل الفحل المقرم الذي لا يؤذي ولا يُركب، كما في "كتاب العين" للخليل بن أحمد، وجاء فيه: ناقة فنيق : جسيم حسن الخلق، ولعل تشبيه عبد الله بالفنيق لأنه كان ضخم الجسم.

(٩٦) أي رفع أكمام ثوبه وكشف عن ذراعيه استعدادًا للمواجهة الشديدة والحرب الكلامية مع معاوية، الذي سكت عن الموقف العدواني لعمره، حيث إن المتكلم الذي يريد استعمال إشارات يديه أثناء الكلام الحاد يرفع أكمامه.

(٩٧) هبلتك الهبول: هبلت الأم ولدها، ثكلته، فهي الهبول، كما في "المعجم الوسيط".

(٩٨) أي: ما يمنعك آداب المجالسة مع منع ما يريد إهانة جليسك؟

(٩٩) الإماء: جمع أمة، العبدة. المتك (بضم الميم): جمع متك، وهي المرأة المفضاة، وهي التي تمزق منها الغشاء الفاصل بين مخرج البول ومجرى دم الحيض.

(١٠٠) المسك: جمع مسيك، أي البخيل.

(١٠١) أعل المعنى، وما يجهل مكانه الشرفاء إلا أصحاب النفوس الدنيئة.

(١٠٢) وشاظ: السفلة أو الدخلاء في القوم، ليسوا من صميمهم، كما في "لسان العرب" لابن منظور.

(١٠٣) عمتك ترديك في الضلالة، كما يُستفاد من "كتاب العين" للخليل بن أحمد.

(١٠٤) الندى والنادي: مجلس القوم، والجمع أندية، ويعبر عنه حاليًا بالديوان أو الديوانية.

(١٠٥) أي: أخرج غيظ صدرك من مكانه أو من خلفك. يقال: وجر فلانًا، أي أسمعه ما يكره، كما في "المعجم الوسيط".

(١٠٦) وفي نسخة: "ببصرة".

(١٠٧) ازدرَاك: احتقرك أو استخف بك.

(١٠٨) ليس الآن وقت ذكر الجواب، أو لا أريد أن أسمع جوابك الآن، إلى آخر النهار.

(١٠٩) "شرح نهج البلاغة" لابن أبي الحديد، طبع مصر، عام ١٣٨٥ هجريّة، ج ٦.

(١١٠) "زينب الكبرى من المهد إلى اللحد"، للمرحوم العلامة الخطيب آية الله السيد محمد كاظم القزويني، مؤسسة النبراس، النجف الأشرف، ص ٤٦.

(١١١) "كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى"، للطبرسي، طبع النجف الأشرف، سنة ١٣٩٠ هجريّة، ص ٢٠٤.

(١١٢) "تذكرة الخواص" لسبط ابن الجوزي، طبع لبنان، سنة ١٤١ هجريّة، ص ١٧٥.

(١١٣) "كتاب أعلام الورى بأعلام الهدى"، للطبرسي، طبع النجف الأشرف، سنة ١٣٩٠ هجريّة، ص ٢٠٤، وجاء في "كتاب الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف"، للسيد علي بن موسى المتوفى، سنة ٦٦٤ هجريّة، ص ٥٠١، طبع إيران عام ١٤٠٠ هجريّة، وهو يحكي عن "كتاب المثالب" لهشام بن محمد الكلبي، وهو من مؤلفي العامة، وهذا نص كلامه: (وأمه حمامة) فهي من بعض جدات معاوية، وكان لها رأي (ذي المجاز)، يعني من ذوات الآيات في الزنا.

(١١٤) ذكر ابن عبد البرّ في كتاب الاستيعاب في ترجمة حياة (أمامة): تزوجها علي بن أبي طالب عليه السلام بعد فاطمة، وكان عليه السلام قد أمر المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أن يتزوج زوجته بعده لأنه خاف أن يتزوجها معاوية، فتزوجها المغيرة. وذكر عمر بن شبه بسنده أن عليًّا لما حضرته الوفاة قال لأمامة بنت العاص: لا آمن أن يخطبك هذا الطاغية بعد موتي ـ يعني معاوية ـ فإن كان لك في الرجل حاجة فقد رضيتُ لك المغيرة بن نوفل عشيرًا. فلما انقضت عدّتها كتب معاوية إلى مروان يأمره أن يخطبها ويُبذِل لها مائة ألف دينار. فلما خُطِبَت أرسلت إلى المغيرة بن نوفل: إن هذا قد أرسل يخطبني، فإن كان لك

بي حاجة فاقبِل وخطبها من الحسن بن علي فزوّجها منه. وذكر ابن حجر العسقلاني في كتاب الإصابة مثل هذا النص، وجاء في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد أن أمامة بنت أبي العاص قالت للمغيرة بن نوفل: إن معاوية قد خطبني. فقال لها: أتتزوجين بـ (آكلة الأكباد)؟! فلو جعلتِ ذاك لي. فقالت: نعم، قد تزوجتُك. وحكى السيد الأمين في أعيان الشيعة عن الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي زواج أمامة من المغيرة بعد مقتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. هذا ... ولكن قد ذكر ابن شهر آشوب في كتاب المناقب ج٣ ص٣٠٥ عن كتاب قوت القلوب روايةً تتنافى مع ما ذكره المؤرخون، وهي أن المغيرة بن نوفل خطب أمامة، فروت عن علي بن أبي طالب أنه لا يجوز لأزواج النبي والوصي أن يتزوجن بغيره بعده. أقول: على فرض صحة هذا الخبر وثبوته، فإن هناك احتمالين:

(١) عدم صحة ما قيل حول زواجها بعد الإمام عليه السلام.

(٢) عدم صحة ما قيل حول عدم زواجها، وهو الخبر الأخير.

(٣) الجمع بين هذا الخبر وبين الأقوال التاريخية، أن زواجها من بعد الوصي كان لضرورة التخلص من الموقف المحرج، وهو الزواج من معاوية، والله العالم بحقائق الأمور.

(١١٥) أستخيرُ الله، أي أطلب من الله تعالى الخير والصلاح في هذا الأمر. "اللهم وفّق" أي: هيّئ التوفيق، تهيئة الأسباب الجارية. "الفتاة رضاك" أي: من ترضى به زوجًا لهذه الفتاة من آل محمد، أي: ويكون ذلك الزواج من أقرباء رسول الله القريبين منه لا من غيرهم.

(١١٦) الجِلّة من القوم: كبار السن والشخصيات البارزة، كما يُستفاد من كتاب لسان العرب لابن منظور.

(١١٧) أي: وأن أجعل مقدار المهر ما يُعيّنه أبو ليت، وهو عبد الله بن جعفر، مهما كان ذلك المقدار كثيرًا.

(١١٨) الحيين : العشيرتين، الحيّ: القبيلة.

(١١٩) أي: دين أبيها عبد الله بن جعفر.

(١٢٠) "ردّ خير": أجب بإيجابٍ والموافقة.

(١٢١) "عدونا": تجاوزنا، "عدا عدوا": تجاوز الحدّ في الشيء، كما في كتاب لسان العرب لابن منظور.

(١٢٢) وهو أي: المهر.

(١٢٣) هناك نظريّة لبعض الأعلام المعاصرين، وهي أن "أمية" لم يكن ولدًا من صلب عبد شمس، بل كان عبدًا روميًّا اشتراه عبد شمس، ومع مرور الأيام استلحقه عبد شمس فنُسِبَ إليه. وكانت ظاهرة الاستلحاق رائجة قبل الإسلام، وبناءً على هذا الأساس لم يكن هناك نسبٌ حقيقيٌّ بين بني هاشم وبني أمية، فلا يُعتَبَر بنو أمية من قريش، وإنما هم مُلحَقون بهم. واستُدِلّ لهذه النظريّة ـ أو الحقيقة ـ بأن معاوية لمّا كتب إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام رسالة: "إنما نحن وأنتم عبد مناف"، كتب الإمام عليه السلام في جوابه: "ليس المهاجر كالطليق، وليس الصريح كالصّفيق". وقد جاء في مقدمة كتاب مثالب العرب لهشام بن الكلبي، المتوفّى عام ٢٠٠ هـ، الطبعة الأولى المحقّقة، طبع إيران عام ١٤١٩ هـ، ص٢٧، ما نصّه: "كان أمية لعبد شمس، وصل إلى مكة عبر تجارة الرقيق، فتبنّاه عبد شمس". ولمزيد من التفصيل راجع كتاب نهج البلاغة المطبوع مع شرح محمد عبده، طبع مصر، الجزء الثالث، ص١٩، كتاب رقم ١٧، وكتاب إلزام النواصب للشيخ البحراني المتوفى عام ٩٠٠ هـ.

(١٢٤) "نَحَلتها": أعطيتُها، "ضيعتي"، "مزرعتي" أو "بستاني"، أو قال: "أرضي في العقيق"، والعقيق اسم منطقة في ضواحي المدينة.

(١٢٥) "غَلّتها" : واردها. قال الطريحي في مجمع البحرين: "الغَلّة" : الدخل الذي يحصل من الزرع والتمر واللبن والإجارة والبناء ونحو ذلك، وجمعه: الغَلاّت.

(١٢٦) كتاب المناقب لابن شهر آشوب، ج٤، ص٣٨–٤٠، وبحار الأنوار، ج٤٤، ص١١٩، باب ٢١، حديث ١٣، وزينب الكبرى من المهد إلى اللحد، المرحوم العلامة الخطيب آية الله السيد محمد كاظم القزويني، مؤسسة النبراس، ص٤٩–٥٠، النجف، بتصرّف.

(١٢٧) كتاب المناقب لابن شهر آشوب، ج٤، ص٤٢–٤٤.

(١٢٨) كتاب سُليم بن قيس الهلالي، طبع بيروت، مؤسسة البعثة، ص١٦٥–١٦٦.

(١٢٩) كتاب زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، مصدر سابق، ص٦٢.

(١٣٠) وفي نسخة: عبد الله بن فطنة الطائي.

(١٣١) كتاب مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج٤، ص١٠٦، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٣.

(١٣٢) كتاب مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني، ص٩١.

(١٣٣) جاء ذكر هذين السيدين الشهيدين في إحدى الزيارات الشريفة التي ذُكرت فيها أسماء شهداء كربلاء في يوم عاشوراء، ومنها هذه الكلمات: (السلام على عون بن عبد الله بن جعفر الطيار في الجنان، حليف الإيمان ومنازل الأقران، الناصح للرحمن، التالي للمثاني والقرآن، لعن الله قاتله عبد الله بن قطبة النبهاني. السلام على محمد بن عبد الله بن جعفر، الشاهد مكان أبيه، والتالي لأخيه، وواقِيهِ ببدنه، لعن الله قاتلهم عامر بن نهشل التميمي).

وأما مصدر هذه الزيارة، فقد حكى الشيخ المجلسي في كتاب بحار الأنوار، طبع لبنان عام ١٤٠٣ هجرية، ج٩٨، ص٢٦٩-٢٧١، عن كتاب إقبال الأعمال للشيخ الطوسي، قال: خرج من الناحية سنة ٢٥٢ على يد الشيخ محمد بن غالب: "بسم الله الرحمن الرحيم، إذا

أردت زيارة سيد الشهداء عليهم السلام، فَقِفْ عند رجلي الحسين عليه السلام، وهو قبر علي بن الحسين، فاستقبل القبلة بوجهك، فإن هناك حومة الشهداء...".

والمقصود من جملة (خرج من الناحية) هو كل ما كان يصل إلى الشيعة من جانب الإمام علي الهادي، ثم الإمام الحسن العسكري، ثم الإمام المهدي صلوات الله عليهم، والذي يناسب التاريخ المذكور هو سنة ٢٥٢، أن تكون الزيارة قد صدرت من ناحية الإمام علي الهادي عليه السلام، والله العالم.

(١٣٤) وفي نسخة: "أما فيكم مسلم؟"

(١٣٥) يُحتمل أن السيدة زينب قالت هذه الكلمات بصيغة السؤال ومن منطلق الاستغراب، حيث رأت أخاها العزيز وهو بتلك الحالة المؤلمة، خاصة وإنها عارفة بعظمته وجلال قدره.

(١٣٦) كتاب تظلم الزهراء للسيد رضي بن نبي القزويني، ص٣٣٣، طبع بيروت، لبنان، عام ١٤٢٠ هجرية.

(١٣٧) الدم العبيط هو الدم الطري غير المتخثر.

(١٣٨) تظلم الزهراء، مصدر سابق، ص٣٣٣-٣٣٤.

(١٣٩) كتاب الإيقاد للسيد محمد علي الشاه عبد العصيمي، الطبعة الحديثة، ص١٣٩.

(١٤٠) معالي السبطين، ج٢، الفصل الثاني عشر، المجلس الرابع. والسيدة زينب من المهد إلى اللحد، مصدر سابق، ص١٢١.

(١٤١) وكان ذلك حينما مروا بقافلة الأسرى على مصرع الإمام الحسين عليه السلام يوم الحادي عشر من محرم.

(١٤٢) العراء: الأرض المنبسطة التي لا يستر فضاءها شيء. كتاب الملهوف لابن طاووس، ص١٨١، وكتاب الإيقاد، ص١٤٠، ومعالي السبطين، ج٢، الفصل العاشر، المجلس الرابع عشر.

(١٤٣) زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد، مصدر سابق، ص١٢٦.

(١٤٤) زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، مصدر سابق، ص١٣٦.

(١٤٥) الاحتجاج للشيخ الطبرسي، طبع لبنان عام ٤٠٣١ هجرية، ج٢، ص٣٠٥.

(١٤٦) وفي نسخة: "كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟"

(١٤٧) وفي نسخة: "فغضب"، وكأنه هم بها، أي أراد ضربها وقتلها.

(١٤٨) قال الزبيدي في تاج العروس: الأُحدوثة بالضم ما يُحدث به. قال ابن بري: الأُحدوثة بمعنى الأُعجوبة. يُقال: قد صار فلان أُحدوثة. وقال الطريحي في مجمع البحرين: الأُحدوثة ما يتحدث به الناس.

(١٤٩) وفي نسخة: "هذه شجاعة، ولعمري لقد كان أبوها شجاعًا"، كما في تاريخ الطبري، ج٥، ص٤٥٧.

(١٥٠) وفي نسخة: "من هذه؟"

(١٥١) وفي نسخة: "ويك أجره؟"، للجواب.

(١٥٢) رشاد المفيد، ص٢٤٣-٢٤٤، والملهوف لابن طاووس، ص٢٠١-٢٠٢، وتاريخ الطبري، ج٥، ص٤٥٧.

(١٥٣) سُبينا: أُسرنا، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١٨، والملهوف، ص٢٠٢.

(١٥٤) زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، مصدر سابق، ص١٥٣.

(١٥٥) كتاب زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدي، ص٥٩.

(١٥٦) كتاب الإرشاد للشيخ المفيد.

(١٥٧) قصر مقاتل: قصر كان بين عين التمر والشام، منصوب إلى مقاتل بن حسان، وقيل: كان ذلك قرب القفطان، كما في مرصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع للبغدادي.

(١٥٨) نزفت القرية: نفد ماؤها وجفت.

(١٥٩) عديله: العديل، الذي يعادلك في المحمل، كما في كتاب العين للخليل بن أحمد.

(١٦٠) الحادي: السائق للإبل.

(١٦١) كتاب الدمعة الساكبة للبهبهاني، المتوفى عام ١٢٨٥ هجرية، طبع لبنان، ج٥، ص٧٥. وقد نُقلت الحادثة بتغيير يسير في بعض العبارات.

(١٦٢) كتاب معالي السبطين، ج٢، الفصل الثالث عشر، وهو ينقل ذلك عن كتاب مصباح الحرمين.

(١٦٣) الإقبال للسيد ابن طاووس، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، مصدر سابق، ص١٦٢.

(١٦٤) اللواء: العلم، وهو دون الراية، كما في المعجم الوسيط. والسنان : الحديدة التي في رأس العلم ورأس الرمح.

(١٦٥) بحار الأنوار للشيخ المجلسي، ج٤٥، ص١٢٧، باب ٢٩. وتظلم الزهراء، ص٢٧٥.

(١٦٦) معالي السبطين، ج٢، ص١٠٤، الفصل الرابع عشر، المجلس الرابع.

(١٦٧) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(١٦٨) سورة الأحزاب: الآية ٢٢.

(١٦٩) كتاب المنتخب للطريحي، ج٢، ص٤٧٣، المجلس العاشر. وتظلم الزهراء، ص٢٧٨.

(١٧٠) زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد، مصدر سابق.

(١٧١) زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام، تأليف العلامة المحقق الأديب الشيخ جعفر النقدي، توفي سنة ١٣٧٠ هجرية، ص١١٨، بتصرف.

(١٧٢) المصدر نفسه، ص١٢٤، بتصرف.

(١٧٣) وهج الفصاحة في أدب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، باب الحكم، حرف الألف.

(١٧٤) حياة السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة المحققة ١٤١٩ هجرية / ١٩٩٨م. النبهاني في الشرف المؤيد، وإسعاف الراغبين للصبان، هذه الخصوصية لأولاد فاطمة عليها السلام.

(١٧٥) أوردها النبهاني في الشرف المؤيد، وإسعاف الراغبين للصباني، هذه الخصوصية لأولاد فاطمة الزهراء عليها السلام.

(١٧٦) المصدر نفسه، بتصرف، طبع بيروت.

(١٧٧) زينب الكبرى بنت الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، العلامة البارع الأستاذ جعفر النقدي، المتوفى سنة ١٣٧٠ هجرية، المطبعة الحي درية، النجف الأشرف، سنة ١٣٦١ هجرية.

(١٧٨) زينب من المهد إلى اللحد، ص٥٦، نقلا عن كتاب ذخيرة العباد للمازندراني.

(١٧٩) الخصائص الزينبية، ص٢٤٠.

(١٨٠) سرور المؤمنين للشيخ الكاظمي، نقلا عن رياحين الشريعة، ج٣، ص٤١.

(١٨١) السيدة رقية، ص٢٣٨.

(١٨٢) زينب بنت علي: فيض النبوة وعطاء الإمامة، إبراهيم حسن البغدادي، دار الأمير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هجرية / ٢٠١١ ميلادية، ص٩٨.

(١٨٣) كتاب فارسي مترجم: شام سرزمين خاطرها، تأليف مهدي بيشوايي، ص٢١٥-٢١٦.

(١٨٤) كتاب فارسي مترجم: حضرة زينب كبرى، تأليف محمد مقيمي، ص٤٩، ونقله الطراز المذهب للمظهري، ص٥٣٩-٥٤٠.

(١٨٥) السيدة رقية بنت الحسين عليهما السلام، ص٢٣٨، بتصرف.

(١٨٦) الخصائص الزينبية، السيد نور الدين الجزائري، مصدر سابق، بتصرف كثير، ص٢٨٥.

(١٨٧) المصدر نفسه، بتصرف، طبع بيروت، سنة ١٣٠٩ هجرية.

(١٨٨) الثاقب في المناقب، ص٢٢١-٢٢٢، و٢٩٥.

(١٨٩) الحمى: موضع يحمى فيه القطيع من دخول الناس، وهو بمنزلة السور. ومثله ما ورد في الحديث: "ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه"، كما يستفاد من كتاب العين للخليل.

(١٩٠) يُعبَّر عن المكان القريب لدى ملك أو رئيس أو منطقة محظورة بكلمة "حمى". وفي عالم اليوم، نجد أن إدارة البلدية تجعل سياجا أو حزاما أحمر حول المناطق المحظورة كالأراضي المزروعة بالألغام أو الغابات التي تتواجد فيها الحيوانات المفترسة، وهذا السياج هو علامة تعني: "أيها الإنسان، لا تدخل هذه المنطقة، بل لا تقترب منها". فإن اللازم عليك أن تبتعد عن المكان القريب من المنطقة المحظورة. ومن هنا، فقد جعل الله تعالى حول المعاصي والمحرمات حمى وحظرا دينيّا، ليساعد الإنسان على الوقاية من التلوث بالذنوب وعدم الاقتراب من أجواء الحرام.

(١٩١) المضغة: قطعة من اللحم، وقلب الإنسان مضغة في جسده، كما في كتاب العين للخليل بن أحمد.

(١٩٢) وهي القلب، ولعلّه كناية عن محل الإصدار والأوامر في المخ، حيث جاء التعبير عن الفكر والمخ بالقلب في كثير من الروايات.

(١٩٣) زينب الكبرى، للشيخ النقدي، ص٣٤، وهو ينقل ذلك عن بلاغات النساء لابن طيفور.

(١٩٤) عقيلة الطهر والكرم: السيدة زينب، لموسى محمد علي، وهو ينقل عن ابن الأنباري.

(١٩٥) عقيلة الطهر والكرم: السيدة زينب، لموسى محمد علي، مصدر سابق.

(١٩٦) ضريح : لحد، أي قبر جاهز.

(١٩٧) ساجة : قطعة من خشب معين، الساج نوع من الشجر في بلاد الهند، لا تبليه الأرض حتى لو بقي تحت التراب مدة طويلة، كما يستفاد من مجمع البحرين للطريحي.

(١٩٨) الخصائص الزينبية، للسيد الجزائري، ص٩٢، وهو ينقل ذلك عن دلائل الإمامة.

(١٩٩) كفاية الأثر، ص١٩٣-١٩٤.

(٢٠٠) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، ص١٣٨، طبع قم – إيران، سنة ١٤٠٨ هجرية، منشورات مكتبة نصرتي.

المصادر:

القرآن الكريم

(١) أخبار الزينبيات للسيد يحيى بن الحسن العبيدي، طبع قم – إيران، عام ١٤٠١ هجرية، منشورات مكتبة السيد النجفي المرعشلي.

(٢) أدب الطف، السيد جواد شبر، طبع بيروت – لبنان، ١٤٠٩ هجرية، منشورات مكتبة نصرتي.

(٣) الإرشاد للمفيد، الشيخ محمد بن النعمان المفيد، طبع إيران – قم، منشورات مكتبة بصيرتي.

(٤) أسرار الشهادات للفاضل الدربندي، طبع البحرين، سنة ١٤١٥ هجرية، منشورات شركة المصطفى.

(٥) الإقبال للسيد ابن طاووس.

(٦) إقبال الأعمال، الشيخ الطوسي.

(٧) أقرب الموارد، للشرتوني.

(٨) إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي، طبع النجف، سنة ١٣٩٠ هجرية.

(٩) الإفاد، محمد علي الشاه، عبد العظيمين، الطبعة الحديثة، طبع قم، ١٤١١ هجرية.

(١٠) بحار الأنوار، للشيخ المجلسي، طبع لبنان، ١٤٠٣ هجرية، منشورات مؤسسة الوفاء.

(١١) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني.

(١٢) بطلة كربلاء، عائشة بنت الشاطئ.

(١٣) بلاغات النساء، ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر.

(١٤) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت.

(١٥) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، طبع طهران – إيران، منشورات مكتبة نينوى الحديثة.

(١٦) تظلم الزهراء، للسيد رضي القزويني، طبع بيروت – لبنان، عام ١٤٢٠ هجرية.

(١٧) الاحتجاج، للشيخ الطبرسي، طبع لبنان، عام ١٤٠٣ هجرية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

(١٨) الخرائج والجرائح، قطب الدين أبو الحسن سعيد بن هبة الله الرواندي، تُوفي سنة ٥٧٣ هجرية، قسم مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

(١٩) الخصائص الزينبية، السيد نور الدين الجزائري، طبع قم – إيران، سنة ١٤١٨ هجرية، منشورات مكتبة الشريف الرضي.

(٢٠) الدر المنتظم، للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي، طبع قم – إيران، عام ١٤٢٠ هجرية، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي.

(٢١) دلائل الإمامة، محمد بن حريز الطبري، النجف الأشرف، ١٣٨٣ هجرية.

(٢٢) الدمعة الساكبة، اللب بهاني، المتوفى عام ١٢٨٥ هجرية، طبع لبنان.

(٢٣) ديوان ابن كمونة، الحاج محمد علي آل كمونة الأسدي الحائري، كعب قم – إيران، عام ١٤١١ هجرية، منشورات مكتبة الشريف الرضي.

(٢٤) ذخيرة المعاد، الشيخ زين العابدين المازندراني.

(٢٥) رياحين الشريعة، ذبيح الله محلاتي، طبع طهران – إيران، عام ١٣٧٠ هجرية، منشورات دار الكتب الإسلامية.

(٢٦) زينب الكبرى عليها السلام، من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، مكتبة الفردوس – النجف.

(٢٧) زينب الكبرى، للعلامة الشيخ جعفر النقدي رضوان الله عليه، المتوفى سنة ١٣٧٠ هجرية، باب اسمها وتاريخ ولادتها، منشورات المكتبة الحيدرية.

(٢٨) حياة السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان، الشيخ جعفر النقدي، طبعت محققة، ١٤١٩ هجرية – ١٩٩٨م.

(٢٩) زينب بنت علي، فيض النبوة وعطاء الإمامة، إبراهيم حسن البغدادي، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، طبعت ١٤٣٢ هجرية – ٢٠١١م.

(٣٠) السيدة زينب عليها السلام، رائدة الجهاد في الإسلام، الشيخ القرشي.

(٣١) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن المغيرة البخاري، ٢٥٦ هجرية، بيروت.

(٣٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ابن شرف النووي والحجاج بن مسلم القشيري.

(٣٣) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمي، مصطفى عيسى، الألبابي – القاهرة.

(٣٤) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد علي بن موسى، المتوفى سنة ٦٦٤ هجرية، طبع إيران، عام ١٤٠٠ هجرية.

(٣٥) الطرائف، السيد ابن طاوس، طبع قم – إيران، عام ١٤٠٠ هجرية، منشورات مطبعة الخيام.

(٣٦) عبرات المصطفى، الشيخ محمد باقر المحمودي، طبع قم – إيران، عام ١٤١٧ هجرية.

(٣٧) عقيلة الطهر، السيدة زينب، موسى محمد علي، والكرم.

(٣٨) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، طبع بيروت – لبنان، عام ١٤٠٨ هجرية، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

(٣٩) العين، الخليل بن أحمد.

(٤٠) الغيبة، الشيخ الطوسي، طبع قم – إيران، ١٤٠٨ هجرية، منشورات مكتبة بكيري.

(٤١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي.

(٤٢) الكافي، للكليني محمد بن يعقوب، بيروت، مؤسسة الوفاء.

(٤٣) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، طبع النجف الأشرف، عام ١٣٥٦ هجرية، منشورات المكتبة المرتضوية.

(٤٤) كفاية الأثر، لأبي القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي، توفي سنة ٤٠٠ هجرية، طبع مطبعة الخيام – قم.

(٤٥) لسان العرب، ابن منظور، فضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منصور، مصر.

(٤٦) المثالب، هشام بن محمد الكلبي.

(٤٧) مجمع البحرين، الطريحي.

(٤٨) المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر، مجموعة من الباحثين، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

(٤٩) المراجعات، الإمام شرف الدين، عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر – إيران، ٢٠٠٧م.

(٥٠) مستدرك الحاكم النيسابوري.

(٥١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري الشافعي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، توفي سنة ٤٠٥ هجرية، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤٢٠ هجرية.

(٥٢) مستدرك الوسائل، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للشيخ ميرزا حسين بن محمد تقي الطبرسي النوري، توفي سنة ١٣٢٠ هجرية، طبع مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – بيروت.

(٥٣) معالي السبطين، محمد مهدي المازندراني الحائري، طبع قم – إيران، عام ١٤١٩ هجرية، منشورات مكتبة الشريف الرضي.

(٥٤) معاني الأخبار، للصدوق، طبع مكتبة الصدوق، ١٣٧٩ هجرية.

(٥٥) معجم مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني.

(٥٦) المعجم الوسيط.

(٥٧) مفاتيح الجنان، دعاء الندبة، ٦٠٦، للمحدث القمي.

(٥٨) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني.

(٥٩) المثاقب، ابن شهرآشوب، طبع قم – إيران، ١٣٩٩ هجرية.

(٦٠) الملهوف، ابن طاووس، طبع قم – إيران، عام ١٤١٤ هجرية، منشورات دار الأسوة للطباعة والنشر.

(٦١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، المتوفى ٥٨٨ هجرية، طبع قم – إيران، عام ١٣٧٩ هجرية.

(٦٢) المنتخب للطريحي، الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي، طبع قم – إيران، عام ١٤١٣ هجرية، منشورات مكتبة الشريف الرضي.

(٦٣) نفس المهموم، للشيخ عباس القمي، طبع إيران، عام ١٤٠٥ هجرية، منشورات مكتبة بصيري.

(٦٤) شرح نهج البلاغة، قصار الكلمات ومعناها، ابن أبي الحديد، ١٣٨٢ هجرية.

(٦٥) وقائع الأيام، الشيخ الملا علي الخياباني، طبع قم – إيران، عام ١٣٦٢ هجرية، منشورات مكتبة المصطفوي.

(٦٦) هذه هي الولاية، السيد العلوي، المجلد الخامس من الموسوعة "رسالات إسلامية".